

مع تحياتي : علي مولا

القبيلة والأسلام والدولة

مؤلف

دكتور: فخر بن نعيم



قال موسى بن نصير للخليفة في دمشق واصفاً البربر:

أشبهه العجم بالعرب

لقاءً

وخذةً

وصبراً

وفروسيةً

وسماحةً.

الباب الأول

1. البربر في ليبيا وأصولهم

2. قبائل البربر وأماكنها قبيل الفتح

3. الفتوحات العربية الإسلامية للديار الليبية

4. هجرة القبائل العربية إلى الديار الليبية

1 - الذهبي - سير أعلام النبلاء، (ترجمة موسى بن نصير) ج 4، ص 499.

القبيلة والإسلام والدولة

لها). فتشمل عدة لهجات منها القبايلية والشاوية (اللغات القديمة لسكان الجزائر). والتماشكية (وهي اللهجات القديمة لقبائل الطوارق وهي قبائل رحالة بالصحراء الكبرى) والشلحية أو الشلحا (الشلوح) وهم تاشلحت. والسوس والروافة (لهجات تسمى عند السكان الأصليين في المغرب بالتاريخية). ولهجة الجونشبية (لغات السكان الأصليين لجزر كناريا الأسبانية المحيطة بالأطلسي). والزوارية والجبالية في غرب ليبيا وكذلك يضم أحياناً إليهم الغدامسية وسكان غات والأواجلة في جنوب شرق ليبيا وسكان سيوه في مصر.

اللغة الأمازيغية وكذلك المرأة تسمى عند البربر بـتامازيغت. كما يسمون أنفسهم بـئمازيغن (مفردتها: أمازيغ). وتعنى "الرجل الحر". أما كتابة اللغة البربرية فمرت بثلاث مراحل تاريخية:

1. المرحلة الليبية (الأبجدية الليبية) وتعرف Libico-Berber.

2. المرحلة النوميديّة وهي المرحلة المتطورة من الكتابة الليبية

1 - بلاسي - اللغة البربرية - مجلة المنهل. عدد رقم 494. ج 53. سنة 1992م.

2 - Brett, op. cit., p 5.

3 - راجع: مادي - "حكم تسمية الأمازيغيون بالبربر" - أبريل 2002www.tawlat.com - حيث يؤكد الأستاذ محمد مادي بأن "أمازيغ للشخص وئمازيغن للجماعة وتمازيغت للغة. الاسم الذي ارتضاه السكان الأصليون لأنفسهم هو أمازيغ - وهو اسم ضارب جذوره في التاريخ - وليس البربر أو جبالية أو زوارية أو توارق أو نحوه من النسب الجهوية والنوعت القديمة...."

كمالي - سكان طرابلس الغرب (تعريب حسن الهادي بن يونس). ص 14.

4 - العربي - البربر عرب قدامى ص 231-234.

5 - راجع: موسوعة المعارف البريطانية - مادة: البربر Cf. Britannica encyclopedia, article: (Berber). Brett and Fentress, p 38.

البربر وأصولهم في ليبيا

اختلف علماء الأنثروبولوجيا والمؤرخون حول أصول أجدادنا البربر. وهذا الخلاف جده بين علماء المسلمين بربراً كانوا أم عرباً في منبت أصل البربر.

بداية سنلتزم استخدام لفظة البربر لأنها الأكثر شيوعاً واستعمالاً من لفظة أمازيغ في الدوائر الأكاديمية ودور العلم. علماً بأن كلاهما سيان من حيث الاستدلال بعيداً عن سوء الظن أو الفهم وما شاكل ذلك من حساسيات.

هناك شبه اتفاق بأن هؤلاء الأقوام - أي البربر - الذين تقطن أغليبتهم الشمال الأفريقي غرب وادي النيل. هم كتلة واحدة غير متجانسة من حيث اللهجات والأديان وإلى حد ما الثقافة. فاللغة الأمازيغية (البربرية) - التي لم يحسم أمرها من حيث كونها سامية أو حامية - لها حروف تعرف بالأبجدية الليبية. ويتحدث بها السكان الأصليون لشمال أفريقيا (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، الصحراء، والجزر المتاخمة

1 - بازامه - سكان ليبيا في التاريخ ص 65.

نجم - مجلة جبل ورسالة (اللغة البربرية وعلاقتها بالعربية). عدد 2. سنة 1996م.

2 - الصويغي - أصول الحرف الليبي ص 133.

3 - Brett and Fentress, the Berbers, pp 37-41.

4 - الصويغي - أصول الحرف الليبي ص 291-351.

إبان حكم الملك ماسينيسا Masinissa.

3. كتابة التيفناغ وهي التي استمرت من قبل الإسلام حتى يومنا هذا عن طريق الطوارق.

عندما جاء الإسلام، وحده كلمة البربر عليه، ومن ثم معه، واخذ من العرب الفاخين أكثر من خمسة وستين عاماً لنشر عقيدته بين البربر وتستوطن تعاليمه في أراضيهم رغم أنهم ثاروا وارتدوا عن الإسلام اثنتي عشرة مرة. وعندما استقر الإسلام برزت من بين البربر المسلمين شخصيات تاريخية وكذلك دول حملت أسماء قبائلهم في ظل الإسلام أكثر بكثير مما كانوا عليه. وأولى تلك الدول ذات الصبغة البربرية القبلية صرف كانت دولة بني زير. كما كان الأدارسة وحكام بنو حمود في مالقا بربر الثقافة واللغة والجند رغم جذورهم وأصلهم الحسني العلوي الشريف.

البربر مصطلح خاطئ ومضلل، مشتقة من الكلمة اليونانية Barbaros or Barbarus باربوروس وتعني حرفياً

1 - لفظة تيفيناغ في الامازيغية تعني الفينيقيين.

2 - راجع: The Blackwell Encyclopedia of writing systems.

Ancient near eastern writing systems, p 112.

3 - الزاوي - الفتح العربي في ليبيا ص 147.

4 - أمثال طارق بن زياد وابن تاشفين والمعز بن باديس وابن تومرت وابن بطوطة ومن ليبيا الأجدابي وسليمان الباروني وخليفة بن عسكر... الخ.

5 - دولة الزيريون (الحماديون)، والزيانيون (عبد الواد)، والمرينيون، والمرابطون، والموحدون، وبنو خزرون، وبنو حفص، الرستميون، والفاطميون.

6 - مؤنس - أطلس تاريخ الإسلام ص 180.

7 - Bosworth, the Islamic dynasties, pp 20-21.

8 - كذلك الفرس والعرب والهوند كانوا يسمونهم بربر.

راجع: بازامه - سكان ليبيا في التاريخ ص 80.

“الأجنبي”. أطلقها اليونانيون أولاً على جميع الأجانب. من فيهم الرومان. وقد اتخذت اللفظة في العهد الإغريقي معنى أزدانياً مقترناً بجميع الرذائل وبالطبيعة الهمجية التي نسبها الإغريق إلى أعدائهم. ومن ثم أطلقت على من لا يجيد اللغة اليونانية، أو بالأحرى من يتحدث لغة غير مفهومة بالنسبة لليونانيين، والمصطلح لا يدل على جنس قائم بذاته، وإنما على انتماء لغوي وحسب. ثم جاء الرومان الذين استعملوا نفس المصطلح أو التسمية للذين كانوا يقطنون خارج أسوار الرومان، أي الذين لم “يترومونوا”، إذا صح الاصطلاح، وعلى جميع الشعوب غير الواقعة تحت النفوذ أو التأثير الإغريقي - الروماني. وهذا مما يدل على أن الرومان لم تكن لهم سلطة واقعية أو فعلية على قبائل البربر، لأن البربر لم يتقبلوا سلطان الرومان، وكانت هنالك ثورات ضدهم، وضد النفوذ الروماني في صفوف البربر. لعل أشهرها ثورة تاكفارينس Tacfarinac التي ظلت مستعرة 13 عاماً، ومن ثم قبض الرومان عليه وأعدموه ودفنوه في لبدية.

1 - بازامه - ليبيا هذه الاسم في جذوره التاريخية ص 92.

العرباوي - المصدر نفسه ص 220-221.

2 - بازامه - المصدر نفسه ص 66-80.

راجع: موسوعة المورد - مادة: البربر.

3 - بازامه - سكان ليبيا في التاريخ ص 65.

4 - بازامه - سكان ليبيا في التاريخ ص 72، 78-79.

5 - البرغوثي - تاريخ ليبيا الإسلامي ص 25-30.

6 - الزاوي - الفتح العربي ص 37.

7 - راجع: دليل متحف السراية الحمراء لمحمد عبد العزيز النميس ومحمود الصديق أبو حامد (1977م) (هامش)، ص 19. ضمن الكتابات الحجرية الهامة التي عثر عليها بلبدة نقش كتابي باللغة اللاتينية يشير إلى ذكر موت الزعيم الليبي تاكفارناس أيام نائب القنصل لأفريقيا كرونيليوس دولابلا عام 24-23م وهذا النقش موجود بمتحف لبدية الكبرى.

أما عن أصول البربر فذهب أهل الاختصاص في عدة اتجاهات مختلفة منهم من رأى بأن البربر:

- (1) من الأعراب القديمة (البائدة) نزحت من الشرق إلى غرب شمال أفريقيا؛
- (2) قبائل هندية/أوروبية، وتحديدًا (جرمانية) نزحت من الشمال إلى الجنوب؛
- (3) من أصول حامية، أي ليسوا ساميين، وليس لهم علاقة بالعرب "الساميين"؛
- (4) من جنس البحر الأبيض المتوسط، ولكنهم أخلاط.

ومن باب الإنصاف والأمانة العلمية أن نستعرض كل رأى على حده لكي نقرأ ما بين السطور، وندرس الحجج والأسانيد والأهواء السياسية من ورائها.

الرأى الأول، قال به أغلب علماء العرب وشطرا لا بأس به من البربر وكذلك اقره بعض المختصين الأوروبيين. أي أن أصول البربر هم أولئك القوم المنحدرون من العرب البائدة التي مرت بأحداث جسام وكوارث حلت بالبلاد "العربية"، وبعضها مرده إلى العوامل الطبيعية يمكن ربطها بالجفاف الذي أعقب العصر المطير. حيث صنفت أساطير النسب وروايات العرب القديمة بأن

و عن ثورة كاباون على الوندال راجع المقال في تاوالت:

http://www.tawalt.com/archive/kabawen_xhsheem.gif

- 1 - اغسطيني - سكان ليبيا: دراسة تاريخية واثنوغرافية [سكان برقة]. (تعريب د. إبراهيم أحمد المهدي). ص 34.
- 2 - كمالي - مصدر سبق ذكره (مقدمة العرب). ص 8.
- 3 - روسي - ليبيا منذ الفتح حتى 1911 (ترجمة خليفة التليسي). ص 61.
- 4 - بازامة - المصدر نفسه ص 88.

هنالك عرباً بائدة وباقية: عاربة ومستعربة. وكل هؤلاء جميعاً نسبوا إلى عرق واحد، أي جد واحد، وهذا كلام بالطبع يخلو من الإثبات العلمي بأن البربر هم خلف ذاك السلف. فالعرب البائدة قد انقرضت ولا يوجد لها اثر بين البشر على أديم الأرض وهم كجرهم وطسم وجديس وعاد وثمرود وغيرهم من الذين اندثروا. ومن العلماء والمؤرخين العرب الذين يرون البربر من أصول "عربية قديمة" ابن عبد الحكم صاحب "فتوح البلدان" واليعقوبي في "البلدان" والبكري في "المسالك والممالك" وابن الأثير في "الكامل". ومن البربر النسابة الذين ذهبوا نفس المذهب القائل بعروبة البربر أيوب بن أبي يزيد بن كيداد اليفرنى مؤسس الحركة النكارية، وغيره.

ومن البحاثة الليبيين الحديثين الذين أيدوا واخذوا بهذا الرأى الأستاذ المرحوم محمد عبد الرازق مناع والأستاذ الدكتور خليفة محمد التليسي عندما درسوا واستندوا في أبحاثهم إلى كتاب الباحث الإيطالي انريكو دى اغسطيني، وغيرهم. ومجمل هؤلاء

1 - Hitti, History of the Arabs, pp 30 - 31.

الصويجي - مصدر سبق ذكره ص 30-41.

2 - راجع: ابن حزم - جمهرة انساب العرب.

Hitti, op. cit., p 30

بازامة - أثر الدين والقومية في تاريخ الأمة الإسلامية ص 268-271.

علماً بأن ابن خلدون وابن الحزم ينفون الصلة العرقية (المطلقة) بين العرب والبربر خلافاً لما ذهب إليه الآخرون من علماء العرب بالجزم في ذلك.

راجع: Brett & Fentress, op. cit., p 131

3 - الملقب بصاحب الحمار الذي يجعل البربر بفرعيهما البرانس والبنتر من نسل كنعان بن حام - ذكر ذلك ابن خلدون في كتاب العبر.

راجع: العرابوي - مصدر سبق ذكره ص 232-279., Brett & Fentress, op. cit.,

p131

المؤرخين يرون أن البربر هم من العرب البائدة التي هاجرت من بلاد الشام بعد مقتل جالوت على يد نبي الله داود إلى هذه المنطقة، أي شمال أفريقيا. وكذلك بعض قبائل حمير وسبأ. ومنهم من يقول بأن صنهاجة وكتامة هم سلالة أولئك الأقوام من بني قحطان وأحياناً إلى حمير. وقد نبه وأشار بعض علماء الآثار إلى أن هناك ثمة علاقة عرقية بين البربر وسكان سواحل الشام من الناحية الأثرية وكذلك الحضارية العرقية.

1 - أول كتاب في نسب الأمازيغ بالعربية كتب بعد فتح الأندلس مباشرة. راجع النسب والتاريخ عند بن خلدون علي صدقي إزاككو، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط عدد 11 سنة 1985 ص 52.

من البربر النسابة الذين أحال عليهم صاحب كتاب المصادر العربية لتاريخ المغرب (الجزء الأول) السدار البيضاء سنة 1983 ص 17، و إلى جانب أيوب بن أبي يزيد بن مخلد بن كيداد، أبو محمد بويكيني البرزالي الإباضي، أبوسهل الفارسي النفوسي، سليمان بن اسحاق المطماطي، هاني بن بصور الكومي، كهلان بن أبي لؤي الأوربي، عبد الله بن أبي المجد المغيلي.

مناع - الأنساب العربية في ليبيا ص 6-7.

اغسطيني - سكان ليبيا [برقة] (تعريب د. خليفة التليسي)، ص 2-4.

2 - كان اغسطيني عقيداً في الجيش الإيطالي إبان استعمارهم لليبيا، وكلف بمهمة جمع معلومات عن سكان البلد وذلك بحصر تعدادهم وأنسابهم وديارهم وعاداتهم وتقاليدهم في كتاب أجزه سنة 1917م (1336هـ) عن طرابلس وبرقة لسد الفراغ ودعم الدراسات والخطط الهادفة للسيطرة على الشعب الليبي بعد المقاومة العنيفة التي لم تخطر لهم على بال. وكان تحت إشراف اغسطيني فريق من المختصين الليبيين الذين يرجع الفضل إليهم في هيئته وصياغته التي هي بين أيدينا، ومنهم الباحث إسماعيل كمالي الذي كان يكتب بالعربية والإيطالية، ويعتبر كتاب سكان ليبيا من اضخم وأشهر المراجع في علم أنساب سكان ليبيا في عصرنا هذا، ويرجع الفضل كله لتعريب وفهرست الأستاذ خليفة التليسي الذي كان سبباً في تعميمه بين أهل العلم والبحث والتنقيب.

3 - ابن خلدون في كتابه "ديوان العبر" يقول بأن كتامة والصنهاجة فقط من البربر الذين ترجع أصولهم إلى قبائل حمير في جنوب اليمن.

4 - على رأسهم الباحث الإنجليزي ويليام مكبارني William McBurney، نقلًا عن بازامه - أثر الدين والقومية ص 272.

الرأي الثاني، أن البربر من أصل هندي - أوروبي قدموا من الهند ومروا بفارس والقوقاز ثم انتشروا في أوروبا ومنهم فريق عبر شبه الجزيرة الأيبيرية (أسبانيا والبرتغال) إلى الشمال الأفريقي. ويعتمد أصحاب هذا الرأي على التشابه بين أسماء قبائل الكيماريين الفنلندية والسويدية وقبيلة حمير في تونس وقبيلة بني عمارة بالمغرب.

وبناء على ذلك يعدون البربر من أصول أوروبية خصوصاً أولئك ذوى البشرة البيضاء والعيون الزرق، وينسبونهم أحياناً إلى الجرمانيين الوندال في القرن الخامس والسادس ميلادي. علماً بأن كثيراً من الليبيين خصوصاً في الشق الشرقي من ليبيا (برقة) كانوا بيض البشرة زرق العيون، ومنهم قبائل التمحو كما جاء في النقوش المصرية التي هي أقدم من ظاهرة الهند-أوروبية. وهذا ما يناقض هذه النظرية بأنهم قد وفدوا من أوروبا، ويبدو أن اصح الأقوال بأن سكان المنطقة الأصليين، أي التمحو والتحنو.

1 - مجموعة من الشعوب القديمة انطلقت من جنوب شرقي أوروبا وجنوبي روسيا، وانتشرت على مدار التاريخ بين أواسط آسيا وإجلترا، وتكلمت بلغات مشتركة بعدة لهجات منها: اللاتينية واليونانية والجرمانية والسلافية والهندية الإيرانية والأرمينية.

2 - شفيق - اللغة الأمازيغية ص 48-50.

3 - العرباوي - مصدر سبق ذكره ص 24-30.

4 - شعب جرمانى عبر نهر الراين عام 406 للميلاد واجتاح بلاد الغال Gaul (تضم كل من فرنسا وبلجيكا وألمانيا وشمال إيطاليا)، ومن ثم اجتاز جبال البرانس إلى أسبانيا حيث هزم القوط والرومان. وفي عام 429م استولى الوندال على المقاطعات الرومانية في شمال إفريقيا حيث أسسوا ملكة عمرت حتى عام 534م، وفي غضون ذلك احتلوا روما ونهبوها عام 455م.

5 - بازامه - سكان ليبيا في التاريخ.

6 - راجع: أريك بايتس - الليبيون الشرقيون & Eastern Libyans, by Eric Bates

7 - العرباوي - المصدر نفسه ص 153.

كانوا بيض البشرة وزرق العيون كما دلت عليه النصوص المصرية القديمة.

الرأي الثالث، بأن البربر من سلاسة حام ابن نوح. عندما أيقن الأوروبيون بأن النظرية "الهند-أوروبية". نُظِرَ إليها بأنها لعبة استعمارية، وأريد ترويجها وتوظيفها لنفس المطامع والأغراض الاستعمارية وتبنتها بعض العقول ذات الميول الغربية من أبناء المنطقة. فلهذا لجأوا إلى القول بأن البربر من اصل حامى. وليسوا أوريين جنساً ولا لغةً كذلك لإثبات أن العرب لا صلة لهم بالبربر. وهذه النظرية نشأت في ألمانيا. عندما استنبطها عالم اللسانيات النمساوي تشولزر (Schlozer) عام 1781م/ 1196هـ ومنها انتشرت قبولاً بين علماء بريطانيا وفرنسا. ولو أن الكثيرين منهم تخلوا عنها. ومنهم فرانسيس نيومان Francis William Newmann عالم البربريات البريطاني الذي رفضها جملة وتفصيلاً في الخمسينيات من القرن المنصرم.

وهنا حصل الحذور عندما خلط بين ما هو عرقي ولغوي. ومن الثابت هو ان اللغة لا يمكن ان يثبت بها عرق والعكس صحيح.

1 - المصدر نفسه ص 26.

2 - قال بهذا بعض العرب منهم سعيد بن المسيب وهشام الكلبي وابن عبد البر.

3 - بازامه - اثر الدين والقومية ص 16-17.

4 - العرباوي - المصدر نفسه ص 85.

5 - العرباوي - المصدر نفسه ص 84، 85، 165.

6 - هناك ثمة خلط بين الجنس واللغة . فالجنس شيء واللغة شيء آخر. فاللغة كونها حامية أو سامية لا تعني أن الشعب حامى أو سامى. وخير دليل على ذلك في عصرنا الحديث الكثير من الليبيين هم بربر (مستعربة) وإن كانوا يتحدثون غير اللغة البربرية ... فكون اللغة سامية لا تعني عدم صلتهم بالعرب جنساً.



الرأي الرابع، الذي يقول بأن البربر من جنس أقوام البحر المتوسط، وهم عبارة عن خليط من الفينيقيين (العرب البائدة) والزخة والليبو والمصريين والنوبيين والكنعانيين (العرب العاربة) والأتروسك والصقليين والساردنيين واليونانيين والايبريين خلافاً للنظريات الأخرى التي كانت تطمح في الأبعاد بين العرب والبربر وذلك بنسبهم تارة إلى القبائل الهند-أوروبية وأخرى إلى الحامية. على غرار إخوانهم العرب الساميين. وهذا الرأي ذهب إليه أستاذنا المؤرخ العلامة محمد مصطفى بازامه. علماً بأن

1 - حسبما ورد في سفر التكوين، الإصحاح 5، العدد 32، طبعة على شبكة الإنترنت بموقع (إنترناشيونال بايبل سوسيتي) جمعية كتاب النصارى إلهي القدس الدولية. يذكر ما نصه: "كان عمر نوح خمسين سنة عندما أُجِبَ ساماً وحاماً ويافثاً". وهذه التصانيف إسلامياً تعتبر من الإسرائيليات.

5, Chapter - Genesis (1989) - Cf; The New American Standard Bible (1989) - Chapter 5, Vers 32.

2 - أول من قال بهذا الباحث الإيطالي سيرجي Sergi في كتابه "أفريقيا سنة 1895م/1313هـ".

3 - سمي اليونانيين الكنعانيين بالفينيقيين، وتسمية الكنعانيين ليست عربية الأصل. ففي المصادر العربية القديمة سموها بالجبارين أو العماليق، وهم من العرب البائدة، وهنالك من يقول بأن هوارة ونفوسة ولواته من الكنعانيين ويحتمل أنهم قدموا من صور وصيدا وجبيل (لبنان) حسب رواية ابن عبد الحكم.

4 - هم الأتيوب سكان الجنوب الليبي وأسلافهم التبو واحتمال الطوارق. الأتروسك والصقليين والساردنيين هم اليوم نسميهم بالطليان وذكروا كمرتزقة وحلفاء لليبيين فقط.

5 - تسمية السامية هي تسمية يهودية تورانية نسبة إلى سام ابن نوح. حيث صنفهم في كتابه "سكان ليبيا في التاريخ عصور ما قبل الإسلام" إلى أسلاف البربر: وهم أوائل الليبيين والصلات الأولى بالعرب والصلات الأولى

كلمة "سامية" لا أثر لها في المعجم اليوناني ولا اللاتيني ولا حتى مراجعنا العربية. وهذه تعتبر بمثابة المراجع الأولية لكل باحث في علم تاريخ الأجناس.

وهذا الاصطلاح تخلى عنه أغلب العلماء في حاضرنا، نظراً لما ارتبط بتفسير أوروبا وتاريخها ومعتقداتها الدينية أكثر من كونه محاولة لفهم أو درس تاريخ المنطقة. ولكن أيجاد بعض الأجوبة لتاريخهم ومفهومه التوراتي. ويرى المسلمون بأن هذا امتداد لظاهرة تحمل الغرب وحضارته المنحازة ضد الإسلام.

ومع هذا كله انصهرت العناصر سالفة الذكر معاً إلى حد بعيد ضاعت فيه الأصول. وأمحت من ذاكرة القوم الجذور. وحلت محلها انتماءات حديثة وأعراق غير خالصه. هي ثمار وإفرازات الزمن والتاريخ معاً. وينقسم البربر إلى طائفتين متباينتين. وهما الحضر والبادية. والحضر هم سكان المدر أو البيوت أي المدنيون. بأقوام البحر؛ والبربر: دخول الكنعانيين إلى المنطقة وفترة التمازج والانصهار واليونانيين في ليبيا.

1 - العرابوي - المصدر نفسه ص 92-93.

2 - بازامه - سكان ليبيا في التاريخ ص 238.

3 - ولهذا حاول الفرنسيين المستعمرون بث النعرة البربرية والتفرقة بين البربر والعرب، كما يحتج بذلك بعض العرب وأنصار العربية، ولذا نجد الجنرال برمود Brémont ينادي: بوجود جريد البربر من الإسلام وفرنتستهم، وكانت تعليمات الكابتن لوغلي Le Glay إلى معلمي اللغة الفرنسية وسائر العلوم: "علموا كل شيء للبربر ما عدا العربية والإسلام". وأخر يكتب: يجب أن تحذف تعليم الديانة الإسلامية واللغة العربية من مدارس البربر. وهذا يدخل في ظاهرة تحمل الغرب وحضارته المنحازة ضد الإسلام.

راجع: Charles Robert: Politique coloniales au Maghreb - نقلاً عن العرابوي - البربر عرب قدامى ص 15.

4 - ما نشاهده الآن من التخوف من الإسلام "Islamphobia" في جميع مؤسسات الغرب، وأوروبا على وجه الخصوص، الدينية والعلمانية منها واعترافهم بذلك دليل على هذا.

والبدو الرحل وهم سكان الوبر أو الخيام، وسكان الحضر من أهل الأمصار وعادة يسكنون بقرب السواحل والسفوح الخصبة الزراعية كقبيلة هواره، والبدو من أهل الصحارى والأرياف والواحات في الجنوب وجلهم من الرعاة كزنانة.

ينتشر جل البربر في الشمال الأفريقي والصحراء الكبرى. وفي ليبيا سكن أغلبهم بحذاء الساحل وتوغل بعضهم في الواحات وفي الصحراء الكبرى. ولكن بعد الفتح الإسلامي اختلط البربر بالعرب وتغيرت الخارطة الديمغرافية مما جعل الفصل بين شرائح المجتمع أو التمييز بين الليبيين على أسس عرقية مستحيلاً. ومن الاستحالة أيضاً أن نحصر جموع البربر الغفيرة التي توافدت وتنقلت في المنطقة في أزمان مختلفة، ولكن مع هذا كله احتفظ البربر ببعض الجيوب التي ساعدتهم على الحفاظ وإبراز هويتهم عن غيرهم عند الحاجة، ومن أهم مراكز البربر الآن الجبل الغربي، وأحياناً يسمى بجبل نفوسة أو جبل يفرن أو جبل غريان. وكل هذه التسميات تدل على هوية المنطقة البربرية، ومن أهم مدنه يفرن ونالوت وجادو (فساطو) وكاباو وكذلك مدينة زوارة الساحلية، وفي الصحراء غدامس وغات وأوجلة. وكثير من قبائل ومدن ليبيا تستمد أسماءها من قبائل البربر مثل مصراتة وزليطن وسيلين ومسلاتة وسوكنة

1 - الدراجي - القبائل الأمازيغية ص 81، 144.

2 - كمالي - مصدر سبق ذكره ص 13.

لعل الأصح هو جبل نفوسة وأحياناً يسمى بالجبل الغربي وخصوصاً في الفترة اللاحقة، وجبل يفرن جزء منه وجبل غريان ليس جزء من جبل نفوسة جبل نفوسة ينتهي عند القلعة.

3 - الراوي - معجم البلدان الليبية ص 78.

ومزده وزنتان (أت زناتة) وورشفانة وورفلة وغريان وزوارة ونفوسة وغدامس واوبارى ومرأوة ومسوس (زاوية مسوس الآن) وغيرها.

والملاحظ انه يكاد لا يوجد اثر للبربر في برقة، بل اندثرت أغلب الدلائل على وجودهم في هذه المنطقة مقارنة مع طرابلس أو فزان، باستثناء الأواجلة الذين يشككون في علاقتهم بالبربر عكس إخوانهم في الغرب أو الجنوب الليبي. ولعله تعليل للاندماج بين العرب والبربر، ومستوى الذوبان العالي لدرجة عدم التعرف أو التمييز بين ما هو قديم وما هو مستحدث. والمراقب للتغيرات الاجتماعية في ليبيا يلاحظ أن خطوط التماس بين العرب والبربر بدأت تضحل وتلاشى. فلا يجد الليبيون من أصول عربية حرجاً في انتمائهم إلى البربر بطريقة أو أخرى بقدر ما يقبل الليبيون البربر في غالبهم كالأواجلة والسواكنة وغيرهم على استخدام العروبة كهوية. لان الأصل عند الجميع هو الانتماء لدائرة الحضارة الإسلامية التي ينتمي إليه جميع الليبيين. ويعتبر الإسلام المنظم الأساسي للعلاقات بينهم.

1 - أطلعت في زيارة لي إلى اوجلة عام 2000 على وثيقة صدرت عن بعض الأواجلة فحواها ما نقله الزبيدي في "تاج العروس" بأن مدينة اوجلة: "سميت نسبة إلى (بني اوجل) وهم بطن من قبيلة (جهينة) التي كانت تقطن بين المدينة (يثر) وينبع في الحجاز، ثم رحلوا (بنو اوجل) غرباً وأستقروا في تلك المدينة التي سميت باسمهم. وان جهينة قاتلت مع خالد بن الوليد في فتح مكة فكانوا في الجنبه اليمنى. وقاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة حنين وعددهم ألف. وقد مدحهم رسول الله فقال: الأنصار، ومزينة، وجهينة، وغفار أشجع، ومن كان من بني عبد الله، موالى دون الناس. والله ورسوله مولاهم. وبذلك أرادوا الابتعاد عن دعوة النسب إلى البربر. والتأكيد على هويتهم العربية مما يثير الشك والاستغراب.

2 - كمالي - مصدر سبق ذكره ص 22.
3 - وسنرى كيف فعل ذلك الكراغلة وأرسوه في عقلية وسيكولوجية سكان المنطقة.

والعامل المحدد للواجبات والحقوق بين أفراد المجموعتين العرقيتين هو "الشريعة الإسلامية" باعتبارها العروة الوثقى بين الجميع. إضافة إلى التشابه الكبير في نمط الحياة والنظام الاجتماعي والثقافي لكل منهما.

وبعد هذا العرض الوجيز الحثيث للأراء والنظريات الرئيسية في أصول البربر، نقول بأن تضارب هذه الأقوال شئ طبيعي. لأن العرب وبعض البربر أرادوا توحيد أصولهم لتفسير التمازج الذي حصل بينهم في الإسلام. بعكس الفرس أو الترك، وكذلك الطمس والقضاء على أي محاولة "استعمارية" لأحياء نعرات ذات نزعة إقليمية كالفرعونية في مصر والبابلية في العراق والفينيقية في الشام والبربرية في الشمال الأفريقي والخ.

- 1 - Gautier نقلاً عن العربيواي - البربر عرب قدامى ص 64.
2 - كمالي - المصدر نفسه (الهامش) ص 37.
3 - الراوي - المصدر نفسه ص 81-82-112-113.

القبيلة والإسلام والدولة

لكي ندرسها في إطار تطورها وتفاعلها التاريخي مع الشرائح
الليبية الأخرى فيما بعد:

لواتة - هنالك قول بأن أصل اسم ليبيا ولبده يرجع إلى تسمية
هذه القبيلة. كانت تقيم في برقة وسرت وأطراف طرابلس. أول
قبيلة أسلمت ثم أصبحت من أكثر المناصرين للإسلام إيجابية،
وكان لها دور مشرف في الإسلام. وبرز منهم أول قائد إسلامي
من أصول بربرية وهو هلال ابن ثروان اللواتي ضمن حملة حسان
بن نعمان سنة 693م (74هـ) في المنطقة.

هواره - كبيرة كثيرة الأفخاذ تحيط منازلها بطرابلس
من كل جهة، واشهر بطونها كما ذكر ابن خلدون ورفلة وترهونة
ومسلاتة وغريان. وبعد التعريب استقر أغلبها في مصراتة
وضواحيها وساحل الاحامد والجفرة وجبل نفوسة. اسهموا
إسهاماً كبيراً ومشرفاً في فتح الأندلس سنة 711م (93هـ)
وصقلية سنة 1427م (831هـ). كانت هواره على المذهب
الإباضي وناصروا الخوارج، ولكن شنت شملهم الفاطميون.

1 - اغسطيني - سكان ليبيا (تعريب د. المهدي) ص 29.

2 - كمالي - مصدر سبق ذكره ص 25.

3 - البرغوثي - المصدر نفسه ص 61، الزاوي - تاريخ الفتح العربي ص 132.

4 - المصدر نفسه ص 211.

5 - ابن خلدون - كتاب العبر ص 283- 284 .

6 - كمالي - مصدر سبق ذكره ص 21.

7 - الإباضية والإباضي نسبة إلى عبد الله بن يزيد الإباضي ظهر أيام مروان بن
محمد آخر خلفاء بني أمية في أوائل القرن الثاني من الهجرة، وإباض (بكسر
الهمزة) كما في انساب السمعاني قرية بعرض اليمامة كانت عندها وقعة
خالد بن وليد مع مسلمة الكذاب، وقيل إباض أسم والد عبد الله بن يزيد، وهو
من بني مرة بن عبيد من بني تميم، وإليه ينتسب الإباضية.

8 - الزاوي - المصدر نفسه ص 211.

قبائل البربر وأماكنها قبيل الفتح

القبائل البربرية التي كانت تقطن ليبيا خلال الفتح
الإسلامي في سنة 643م (24هـ) تفرعت من جذمين، وهذا قول
النسابة والمؤرخين، حيث ينتهي النسابون بالبربر إلى واحد من
اصلين: البرانس أو البتر.

البربر هم سكان شمال أفريقيا الأصليين. كما هو معروف،
حيث عاشوا في المنطقة منذ العصر الحجري في نظام قبلي
تطور مع قدوم المسلمين العرب، وأصبحوا ينسبون أنفسهم إلى
أحد الجذمين البتر أو البرانس، تماماً كما فعل العرب عندما نسبوا
أنفسهم إما إلى قحطان أو عدنان. وهذه التقاسيم تاريخياً غير
دقيقة، وإما هو تأثير العرب في إخوانهم البربر الذين لم يجدوا
حرجاً في تقبل هذا لكي يفسر البربر التقارب مع العرب الذين
كانوا ينعتونهم أحياناً بـ "بنيان" وتعني الضيوف.

ونظراً لطبيعة التحولات في المنطقة والتغيرات التي مرت
بها الخارطة البربرية نرى وجوب ذكر هذه القبائل ولو باختصار

1 - الدراجي - مصدر سبق ذكره ص 56-57، 61-62.

2 - وعند ابن خلدون البرانس والمادغيس.

راجع: كمالي - مصدر سبق ذكره ص 14-15.

3 - البرغوثي - تاريخ ليبيا الإسلامي ص 31.

4 - مادي - مصدر سابق.

وبطش بهم قراقوش ولكنه قتل في ودان، فارحل جلهم (و خاصة زويلة من هواره) إلى مصر. ومن تعرب منهم سواء في ليبيا أو مصر أو تونس هم على مذهب الإمام مالك.

زنانة - كانت تقيم في جهة النواح الأربع وجنوزور وورشفانة. أشهرهم بنو خزرون الزناتيين الذين حكموا طرابلس قرابة 150 سنة. وهذا يجعل منهم العائلة التي حكمت ليبيا أطول مدة. ولكن خرج منهم أشهر قائد بربري مسلم - طارق بن زياد - فاتح الأندلس. زنانة في الغالب من رعاة الإبل ومن أهل الوب. كذلك لهم بعض الجيوب في غدامس حتى يومنا هذا. ومن زنانة خرج الحكام الزبانيون والمرينيون. وقد تصدت للفاطميين إلى جانب المعز بن باديس وحاربت بشدة عربان بني هلال وسليمان وكادت تتعرض للفتنة، ثم اندمج من تبقى منهم في القبائل الأخرى.

نفوسة - وقد استوطنت المنطقة الواقعة شمال تاورغاء وسواحل طرابلس وكانت صبراتة القديمة مركزها. اشتهرت بثورتها ضد حكم الاغالبة 896م (283هـ). ثم انسحبت إلى الجبل الغربي، وإلى جنوب كاباو عند ظهور العرب. نفوسة خلعت اسمها على الجبل الغربي فسمى بجبل نفوسة، وأغلب سكان

1 - المصدر نفسه ص 233-234، 239.

2 - المصدر نفسه ص 319-320، 330.

3 - المصدر نفسه ص 269.

4 - كمالي - المصدر نفسه ص 26-27، البعض يقول إن طارق بن زياد من قبيلة مغراوة، ولعل الأرجح كونه من زنانة.

5 - الدراجي - مصدر سبق ذكره ص 143-145.

6 - البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 337.

7 - مناع - مصدر سبق ذكره ص 467.

الجبل الذين من أصول بربرية وان تعربوا - أو ما يسمى بالجبالية - ينحدرون منها.

كتامة - قطنت الخمس وسيلين ولبده وساحل الاحامد والمناطق المجاورة، ناصرته الفاطميين ضد الاغالبة في تونس والعباسيين في العراق.

صنهاجة - أكثر قبيلة ناوأت الروم وقاومت وجودهم قبل الفتح الإسلامي. كانت تقيم غرب طرابلس ومعظمها في زوارة والجبل الغربي. وجنوباً في مزدة وسيناون ووادي الشاطئ والقطرون. عُرفت بسيادتها في الشمال الأفريقي وخرجت منها سلالات حاكمة مثل الزيريين والحمايين والمرابطون.

زويلة - كانت تقيم في برقة وفزان، وسميت منطقة فزان باسمها، وارحل معظم رجالها مع القائد الفاطمي جوهر الصقلي إلى مصر، ولا زالت بفزان مدينة صغيرة تسمى زويلة، أما في القاهرة فيوجد باب عظيم بجانبه منارتان باسمهم - وهو باب زويلة.

1 - الدراجي - مصدر سبق ذكره ص 254-255، 258، 262-263، كمالي - المصدر نفسه ص 25.

2 - الزاوي - المصدر نفسه ص 233-234.

3 - كمالي - مصدر سبق ذكره ص 24.

4 - البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 25-26، 28.

5 - هناك قول بأنهم اصل الطوارق والتبو.

6 - الزاوي - تاريخ الفتح العربي ص 262-263.

7 - كمالي - المصدر نفسه.

8 - هو جوهر الصقلي وليس الصقلي لأنه أصلاً من صقالبة البلقان (Slavs). وليس صقلية.

9 - Hitti, op. cit., p 619.

10 - بازامه - تاريخ برقة في العهد العثماني الأول ص 78-79. راجع: المقريري -

مزاتة - كانت تقيم في ودان وحول خليج سرت الكبير، ولعلها اندمجت البقية منهم في سكان الواحات وخصوصاً سوكنة (هنالك من يقول بأنهم امتزجوا بهوارة). اعتنقت الإسلام ثم ارتدت ثم دخلت فيه مجدداً وحسن إسلامهم وناصروه.

الأواجلة - يقال انهم خليط من لواتة وهوارة استوطنوا واحة اوجلة وسيوة وغدامس وزويلة. كانوا أول من استنبت شجر النخيل. واشتهروا بالورع والتقوى والارتباط بالأرض. ولازالوا على حالهم أوفياء لنخيلهم وعلى قمة الكرم وحسن الشيم.

الطوارق - يعيش أغلبهم في جنوب الليبي حول غدامس وفي غات وجانيت وفي معظم أودية قران وجبال تسيلي وسهول ادرار. ولهم امتداد في دول الجوار - وخاصة الجزائر والنيجر ومالي - ويشتهرون بزيتهم واللثام. وكثيراً ما هبوا لنجدة إخوانهم المسلمين في الشمال.

التبو - قال بذلك اليعقوبي حيث صنفهم ضمن قبائل لمطة خديداً. ولكن هنالك من ينفي عنهم أمازيغيتهم وينسبهم للأثيوب أو العنصر الأفريقي. أقدم من سكن الصحراء في جبال

(الخطط المقيزية) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، Cf; Clapperton, Difficult & Dangerous Roads, ed. by Bruce-Lockhart and Wright, (F.N) p 51. يزعم البعض بأنهم هم من لعب الدور الرئيسي في بناء القاهرة وأزهرها الشريف تحت إمرة الفاطميين.

- 1 - بازامه - المصدر نفسه ص 40، 63، 69-71.
- 2 - مناع - مصدر سبق ذكره ص 66.
- 3 - اغسطيني - مصدر سبق ذكره ص 523-524.
- 4 - نفس المصدر ص 359.
- 5 - البرغوثي - المصدر نفسه ص 18-19.
- 6 - بازامه - تاريخ برقة في العهد العثماني الأول ص 118.

تبيستي في أقصى الجنوب إلى الحدود التشادية مروراً بالقطرون والكفرة والواو الناموس والواو الكبير، ويعيشون على الصيد والرعي والزراعة وقيادة القوافل عبر الصحراء.

1 - كتب عمر عبدالرحمن توفومي (دازي من عشيرة الشنكورة) عن "أصل التوبو والقرعان" في موقع ليبيا جيل - بتاريخ 18 أغسطس 2004م مؤكداً وناقلاً عن بعض الأبحاث "أن قبيلة التبو تلتقي مع قبيلة القرعان التشادية في العرق واللغة والدم، والمؤرخون اختلفوا في هل ترجع القبيلتين إلى اليمن أم إلى الصومال أم إلى الفراغة، ويكتب أنه بعد تفصي وبحث توصل إلى نتيجة مبدئية إلى أن أصل القرعان والتبو يرجع إلى الصومال، والصوماليون بدورهم يرجعون إلى أصل عربي في اليمن". ويقول: وعند احتكاكي مع بعض الأخوة الصوماليين وجدت تشابهاً كبيراً في الشكل والعادات، وفي بعض المفردات، بل وأريد أن في الصومال قبيلة تسمى (قرعان) تنقسم إلى توبرقري، اناكرا، وهؤلاء ينتشرون في كينيا حيث يرعون الإبل مثل القرعان تماماً، ومن حيث العادات وجدت أنهم لا يتزوجون بنت العم والخالة وكل الأقارب من الدرجة الثانية والثالثة، وكذلك لديهم بعض المفردات تتطابق مع اللهجة القرعانية خديداً لهجة أهل كام.

الفتوحات العربية الإسلامية للديار الليبية

يرجع تاريخ العرب إلى ما قبل الألف الثالثة قبل الميلاد. وقد أنشأوا قبل الإسلام دولاً وممالك متعددة منها الدولة السبئية، والمعينية، وقتبان، والحميرية، والأنباط، والمناذرة، والغساسنة. وتعرف المائة والخمسون سنة التي سبقت فجر الإسلام باسم "الجاهلية". وفيها كان العرب مجموعة من القبائل الوثنية في مجملها، تمزقها الخصومات القبلية شرمزق. حتى إذا دخل العرب في الإسلام غدوا أمة متماسكة تنادي بالتوحيد وتنضوي تحت رايته. يقسم تاريخ العرب، بعد الإسلام، إلى عصور متعددة أهمها:

- 1) عصر الدعوة النبوية العطرة 610-632م (11هـ) وفيه أشرقت الجزيرة العربية بنور الإسلام وتوحدت للمرة الأولى في تاريخها.
- 2) عصر الخلفاء الراشدين 632-661م (11-40هـ) وفيه بدأت الفتوح وأرسيت قواعد الدولة الجديدة.

1 - 49 - Hitti, op. cit., pp 86-

2 - بخت - المجتمع العربي الإسلامي ص 85-86. Hitti, op. cit., p 42.

3 - راجع: موسوعة المورد - مادة: (الجاهلية).

4 - 3 - Bosworth, op. cit., pp 4-

أثر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قائلاً :

“و لو لا مالى بالحجاز

لنزلت برقة.

فما اعلم منزلاً اسلم

ولا اعزل منها”.

البلاذري - فتوح البلدان (برقة وزويلة) ج 1، ص 226.

3) عصر الخلفاء الأمويين 661-750م (41-133هـ) وفيه اتسعت رقعة الدولة وغرست بذور الحضارة العربية.

4) عصر الخلفاء العباسيين 749-1258م (132-656هـ) وفيه تمازجت الثقافات العربية والفارسية والتركية واليونانية والهندية وبلغت أوج عُلَّها.

5) عصر العرب في الأندلس 756-1492م (138-897هـ). وفيه أصبحت أسبانيا الإسلامية من أرقى البلدان في أوروبا كلها. وبعد سقوط الخلافة العباسية ببغداد سنة 1258م (657هـ) أفلت شمس الحضارة العربية الإسلامية.

وببزوغ شمس الإسلام على العالم سنة 610م. والوحي بتبليغه للبشرية جمعاء، اتجه جند العرب المجاهدون غرباً بعد سقوط مصر في يد عمرو بن العاص سنة 642م (21هـ) إلى الشمال الأفريقي. فقد مرت بالديار الليبية عشر حملات إسلامية ابتداءً من عمرو بن العاص إلى موسى بن نصير.

وعندها إذن الخليفة عمر بن الخطاب لعمر بن العاص وقريبه عقبة بن نافع الفهري لفتح برقة، وكان ذلك سنة 3642م (22هـ). ففتحت طبرق ودرنة وانطابلس. ومن بعدها أجدابيا؛ وتم ذلك بدون إراقة الدماء وبطرق سلمية مع القبائل البربرية وعلى

1 - Op. cit., pp 5 - 6.

2 - Op. cit., pp 7 - 10.

3 - Op. cit., pp 11 - 13.

4 - المزني - ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ص 27-28.

5 - تعني خمس مدن هي : سوسة وشحات والمرج وتوكرة وبرينيتشي (بنغازي). الزاوي - تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص 41-42.

رأسها لواتة التي هادنت العرب المسلمين على دفع الجزية. ودخل شطر منها الإسلام واصبحوا النواة الأولى للرباط على الثغور الإسلامية الجديدة. وبمثابة قلاع للدفاع عن مكتسبات الفتح. ومحطات جُدة في الخطوط الأمامية لمد الفتوحات المستقبلية.

ومن بعدها أوكلت مهمة الفتوحات إلى بسر بن أبي أرطأة الذي عرج بدوره جنوباً إلى زويلة وفزان سنة 643م (23هـ). ومن بعدها اتجهت قوافل المجاهدين بقيادة عمرو بن العاص إلى الغرب الشمالي صوب طرابلس التي ما لبثت حتى كتب لها الفتح على يد المسلمين بعد شهر من حصارها سنة 643م (23هـ). ثم فتحت سرت وصبراتة ولبدة وشروس وبعدها عاد عمرو بن العاص إلى مصر. تاركاً عقبة بن نافع على رأس حامية في برقة وظل بسر بن أبي أرطأة على رأس حامية أخرى في سرت.

ارتدت بعض قبائل البربر عن الدين الجديد لا سيما قبيلة مزاتة، فرجع إليها عبد الله بن أبي سرح في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان. وانضم إليه عقبة وحاميته. سنة 649م (29هـ) بجيش فيه كوكبة جليلة القدر من الصحابة والتابعين. حتى سميت تلك الحملة بجيش العبادلة، من بينهم السبطان

1 - يقال إن عمرو بن العاص أول من سماها اطرابلس؛ وكانت قبلها تسمى اويبا وتريبوليتانوس وتريبولي وتعني المدن الثلاث لبدة وطرابلس وصبراتة.

2 - الزاوي - المصدر نفسه ص 73.

3 - نفس المصدر ص 45-49.

4 - كانت إحدى أهم مدن البربر مع جادو في جبل نفوسة ولكنها اندثرت الآن وأصبحت أطلالاً.

5 - المصدر نفسه ص 72-73.

6 - المصدر نفسه.

7 - لأنه اجتمع فيه سبعة من الصحابة تبدأ أسمائهم بعبد الله وهم: عبد

من الطرفين. وما القبور الجماعية للمجاهدين العرب. والقتل والنشيت في قبائل البربر. بل التمثيل وتشويه الرجال. إلا دليل صارخ على الشدة والصلابة التي يتحلى بها كلا الفريقين من العرب والبربر من أنفة وعناد وشدة بأس. ولكن سرعان ما تناسى الفريقان البغضاء واندمجا في هذا الدين.

استغل البربر انشغال المسلمين بالفتنة في المشرق فنقضوا عهودهم وارتدت أعداد من اسلم منهم. ومع ذلك ثبت بعض من اسلم على إسلامه وتأزمع من كانوا من العرب الفاتحين وتلك كانت إحدى اللينات الأولى لصرح الإسلام في الديار الليبية. ومن بعد ترسخ الفتح الإسلامي فيها إلى حد أنها أصبحت بمثابة قاعدة متقدمة للجيش الإسلامي. فتنتقل منها نحو المغرب والأندلس. أو تنسحب إليها للتمركز وإعادة التنظيم في حالة الهزيمة كما فعل زهير بن قيس البلوي عندما انسحب من القيروان إلى برفة أثارقتل كسيلة بن لزم لعقبة بن نافع سنة 682م (63هـ) واستيلائه على القيروان. وانقلاب أفريقية على المسلمين.

توجه بعده حسان بن النعمان بجيش نحو أفريقية سنة 695م (76هـ) حتى نزل بطرابلس وانضم إليه عدد من المجاهدين

1 - نقل د. المزيني في كتابه "ليبيا من الفتح العربي": أن عقبة بن نافع جذع أذن ملك مزاتة النصرانية في ودان وإصبع ملك قصور خاور (في النيجر) جنوب فزان تأديبا لهما وعبرة وزجرا لغيرهما ولن تسول له نفسه، وفرض على كليهما غرامة 360 عبدا.

2 - كمال - مصدر سبق ذكره ص 8.

3 - البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 60-63.

الكريمان الحسن والحسين أبنا الزهراء. ثم لحق بهم عبد الله بن الزبير بمدد. فرجع البربر وحسن إسلامهم. واستمر الإسلام بين كروفر في قبائل البربر أكثر من 66 سنة ولم يدخل جميع البربر في الإسلام. إلا بعد أن فتحت الأندلس في سنة 711م (93هـ) بقيادة طارق بن زياد. من بربر منطقة الجريد في الجنوب التونسي. وعندها استقر الإسلام في ليبيا وشمال أفريقيا وأوجد له جذورا راسخة على أراضيها. وهذا ما قاله ابن خلدون في كتاب العبر: ارتد البربر في أفريقية عن الإسلام اثنتي عشر مرة. ولم يثبتوا على الإسلام إلا في عهد موسى بن نصير.

وفي غبار الفتح الإسلامي لليبيا - ومن ثم هجرة قبائل العرب إلى المنطقة - سالت فيه كثير من الدماء. فكانت هنالك المذابح

الله بن أبي سرح. وعبد الله بن العباس. عبد الله بن عمر بن الخطاب. عبد الله بن جعفر. عبد الله بن مسعود. عبد الله بن الزبير. عبد الله بن عمرو بن العاص. 1 - كان أول طفل ولد في دولة الإسلام في المدينة المنورة عام 622م (1هـ). وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم جاءت به إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فحنكه.

2 - القبطاني - الأهابية من دفن في البلاد الليبية من الصحابة ص 17-27. كان أحد موالتي موسى بن نصير والتي أفريقيا في عهد الأمويين فقد اشتره واسلم على يديه. ثم أصبح واليا لطنجة. من ابرز القادة المسلمين العسكريين. أرسله لفتح الأندلس فاجتاز المضيق الذي عرف باسمه (مضيق جبل طارق) واحتل قرطبة وطليلة وأجزاء أخرى من شبه جزيرة ايبيريا (أسبانيا والبرتغال) : ويبدو أن موسى لم يرغ لإبغال طارق في الفتح إلى ابعده ما سمح له به فعاقبه بالعزل من القيادة.

3 - راجع: موسوعة المورد - مادة: طارق بن زياد.

4 - هنالك من يقول بأن الإسلام لم يستقر. ولم يخلد البربر إلى الطاعة ولم تطمن نفوسهم للإسلام إلا بعد مقتل الكاهنة البربرية داهية بنت ماتيا على يد حسان بن النعمان. التي تولت زعامة البربر بعد مقتل كسيلة. ولكن كانت ثمة شواهد ترجح فتح الأندلس كمؤشر لخضوع المنطقة للإسلام بصورة قطعية وكاملة.

5 - الراوي - الفتح العربي ص 147.

6 - المصدر نفسه ص 299.

العرب والبربر، مما يدل على أن الجيش اجتاز برقة وطرابلس دون أن يعترض مسيرته أحد. وأرسل حسان إحدى طلائعه ليستطلعوا له الحال في أفريقية بقيادة هلال بن ثروان اللواتي. وهو أول بربري يستلم دوراً قيادياً في جيوش المسلمين دلالة على أن معظم البربر في ليبيا اطمأنوا للإسلام ودعوته، وكذلك اطمئنان العرب للقتال مع البربر جنباً إلى جنب ضد أعداء الدين وترسيخاً للأخوة في ظل العقيدة الإسلامية. وبعدها انتشرت الدعوة الإسلامية وعملية التعريب في ربوع البلد وبين أهلها.

وفي صفوف الفاتحين كان كثير من المهاجرين والأنصار من الأوس والخزرج، وكذلك من الغساسنة وبني دملج وعرب اليمن من أزد ولخم وجذام وجُيب وصدف؛ وكذلك مهرة وعنث وميدعان وبني فزارة وبني ربيعة وغطفان وجشتم وبني قرة وبني هون باقي قبائل العرب الذين أتوا مع عائلاتهم للاستقرار في مناطق الرباط بعد فتحها وضمها إلى دار الخلافة وتوزعهم فيها؛ وصاروا يتكاثرون فيها شيئاً فشيئاً، ومن هؤلاء تكون المجتمع الإسلامي “العربي/البربري” الأول في ليبيا ليفسح المجال لاستقبال الهجرات العربية الكبرى المندفعة من الشرق.

وبعد فتح وضم عمرو بن العاص لمعظم الديار الليبية صلحاً

- 1 - المزيبي - مصدر سبق ذكره ص 57. البرغوثي - المصدر نفسه ص 61.
- 2 - الزاوي - تاريخ الفتح ص 131-133.
- 3 - أئرعن عيد الله بن عمرو بن العاص قائلاً: ولو لا مالي بالحجاز لنزلت برقة، فما أعلم منزلاً أسلم ولا أعزل منها.
- 4 - مناع - مصدر سبق ذكره ص 9-14.
- 5 - ملكة ودان كانت تضم كل من واحات الجفرة بما فيها ودان العاصمة وسوكنة وزلة، وفيما بعد هون التي تنتسب إلى بني الهون بن خزعة بن مدركة

وطوعاً باستثناء ودان وطرابلس وما جاورها إلى ولايته، وكان حينها والياً على مصر. كان حكمه عليهما حكماً مطلقاً، أي ولاية عامة، أي مسؤولاً عن أعماله فقط أمام خليفة المسلمين في العاصمة في المدينة المنورة. وشملت الولاية العامة الأمور التالية:

- (1) النظر في تدبير الجيوش وترتيبها العسكري حسب ما تقتضيه الحالة العسكرية وتقدير أوزانهم ؛
- (2) جباية وتفريق الخراج والصدقات وتعيين وتقليد العمال ؛
- (3) حماية وحفظ الدين وأهله من التغيير والتبديل ونشر دعوته ؛
- (4) إقامة الحدود في حق الله وحقوق الناس ؛
- (5) تعيين القضاة والفصل في النزاعات ... وغير ذلك من الأمور الدينية والدينية.

ومن بعدها قلص الخليفة عمر بن الخطاب سلطات عمرو بن العاص لتقتصر على قيادة الجيش والإمامة في الصلاة، والبقية من اختصاص عمال يعينهم الخليفة بنفسه، أي ما نسميه بلغة عصرنا بالإدارة المركزية، ولكن الفضل يرجع - بعد الله تعالى - إلى عقبة بن نافع في إرساء أسس الإدارة الإسلامية، حيث مكث في ليبيا قرابة 28 سنة من 642-669م (22-49هـ).

- (عامر) بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد من العرب العدنانيين الذين جاءوا من الحجاز مع الفتح العربي الإسلامي كما ذكرنا أعلاه.
- 1 - راجع: الزاوي - تاريخ الفتح العربي ص 73.
 - 2 - البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 69.

وكان من أوائل من عكف على نشر الإسلام والعربية والتمكين لهما كدين مبعوث للجميع والعربية لغة رسمية ومتداولة بين العامة والخاصة.

وبعدها قسمت ليبيا إلى ثلاث مناطق إدارية منفصلة عن بعض سنة 674م (55هـ):

(1) طرابلس - وتتبع والي أفريقية (تونس). يعين لها حكامها ويشرف على تدبير أمورها؛

(2) برقة - وتتبع والي مصر الذي يعين لها حكامها ويشرف على تسيير شؤونها؛

(3) فزان - غالباً ما كانت تترك لزعماء قبائلها للقيام بمهامها. وإذا لزم الأمر تدخل إحدى الولايتين. وغالباً كانت ولاية طرابلس الأكثر تدخلاً في فزان.

وإزداد الإسلام واللغة العربية استقراراً وقبولاً من السكان الأصليين فيعهد والي حسان بن النعمان الذي دامت ولايته ثلاث سنوات فقط 701-704م (82-85هـ). فأرسى قواعد وأركان الإدارة الحديثة. فدون الدواوين وأخذ وفرق الجبايات وغيرها من أمور تسيير شؤون الدولة. وكان ذلك مواكباً لحركة التعريب لأجهزة الدولة الأموية. وأخذت منحى جدياً وصبغة رسمية في عهد عبد الملك بن مروان 685-705م. حيث أدخلت وعربت أدوات الإدارة

1 - هو الخليفة الأموي الخامس. يعتبره البعض بأنه المؤسس الثاني (المجدد) للدولة الأموية. إبان حكمه قضي على أغلب معارضة من خلال رجاله القساة بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي. كما انه سارع في عملية تعريب الإدارة ومؤسسات الدولة وسك عملة خاصة لدولة الإسلام.

لتنظيم المقتبسة عن الحضارات المجاورة مثل البريد والنظام الحربي وبيت المال وديوان الخاتم والشرطة وغيرها من الأمور.

وعمل حسان على تعميم اللغة العربية كلغة تفاهم وكتابة. وأقبل البربر والأفارقة عليها أفواجاً. لأنها أمسّت أداة للتعبد والتعامل. حيث كان البربر في أمس الحاجة إلى لغة واحدة يفهمونها جميعاً. نظراً لاختلاف اللهجات البربرية وبعدها عن بعض حتى حسب بعضهم أن زناتة ليست من البربر. فاللغة العربية كانت أقوى من اللغات الأخرى الدارجة في الساحة حيث كانت لغة السلطان. وكذلك لغة لها ماضٍ مجيد من الشعر والتراث الأدبي. فزينها القرآن الكريم وزادها قوة وقداًسة وعنفواناً. فبدأت العلوم الإسلامية تنتشر بسرعة فائقة بفضل العلماء وجهودهم. حيث شهدت تلك الحقبة الزمنية نهضة فكرية عربية واسعة ما ترتب عليها اجتهادات فقهية وفلسفية أثمرت مدارس التي مع مرور الزمن تحولت إلى مذاهب اجتهادية في علوم الدين تنظر للمجتمع سياساته الدينية والحياتية.

فقد حصر حسان الجند من عرب وبربر وغيرهم سواسية في سجل تدرج فيه الأسماء وأوصافهم وأسلحتهم. وبذلك نظم وقسم العسكر على الثغور. وفيها اختلط العرب بالبربر

- 1 - زرت دمشق عام 1999 ورأيت بيت المال في الجامع الأموي معلقاً على ثمانى أعمدة وليس له سلم. ومن أراد أن يفتحه عليه أن يستعين بسلم. وذلك ما يثير انتباه الغير إليه، ويحتاج إلى مفتاح الخليفة ومفتاح والي ومفتاح الحارس ومفتاح كازن بيت المال ومفتاح صاحب الشرطة مجتمعة مع بعضها.
- 2 - الدراجي - مصدر سبق ذكره ص 144. لزال إلى يومنا هذا في الجزائر والمغرب يقرأ البربر نشرة الأخبار بعدة لهجات أمازيغية مختلفة.
- 3 - ضيف - عصر الدول والإمارات: ليبيا - تونس - صقلية ص 47.

في مؤسسة من مؤسسات الدولة على قدم المساواة. واصبح البربر قوة يعتد بها في دار الإسلام. وفيها تمكنوا من التأثير على حاضر ومستقبل الدولة الإسلامية الفتية في المغرب الإسلامي بعد تمكنهم من الدخول إلى مواطن القوة والنفوذ. والتقرب من مراكز القيادة وصناعة القرارات. وبها اصبح البربر أقوياء مثل إخوانهم العرب مما وفر لهم من النفوذ إلى ذروة الهرم السياسي المغاربي وخلق كيانات إسلامية الدين. بربرية القبائل. عربية اللغة.

تعاضم دور البربر أكثر فاكثرت. واتسعت رقعة العروبة بينهم في عهد الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز الذي استعمل على أفريقية من افضل واصلح معاونيه إسماعيل بن أبي المهاجر عام 718م (100هـ). فقد كان ابن أبي المهاجر طيب الصيت وحسن السيرة. فاشتهر في ولايته بحسن التعامل مع الرعية. ودخل خلق عظيم من البربر في الإسلام وتناسوا الردة إبان ولايته. ولكن سرعان ما اختفت روح الإخاء والمساواة بين العرب والمسلمين العجم في العصر الأموي بموت الخليفة عمر بن عبد العزيز التي لم تدم خلافته أكثر من ثلاث سنوات.

وعندما تسلم الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك عزل والي أفريقية إسماعيل بن أبي المهاجر وعين يزيد بن أبي مسلم. مولى

- 1 - الخليفة الأموي الثامن حكم من 717 - 720م (99-102هـ): اشتهر بالعدل والتقوى والزهد. وسار في سياسة الدولة والرعية سيرة الخلفاء الراشدين. انصرف إلى الإصلاح الداخلي وبخاصة في الحقل المالي. انتهج سياسة التسامح مع اليهود والنصارى، وانصف الموالي بينهم وبين العرب في الحقوق والواجبات بمقتضيات الشرع.
- 2 - المزني - مصدر سبق ذكره ص 63-64.

الحجاج بن يوسف الثقفي وتلميذه عندما كان في خدمته. وكان ظالماً مثله. فأساء التعامل مع البربر وظلمهم ظمماً شديداً. فلم يرحب البربر بتنصيبه والياً عليهم. وذلك لحبهم وتقديرهم لسلفه. فاضطهدهم. وأراد تقليص نفوذهم في الجند وذلك بالتمييز بينهم وبين سائر الجند. فأمر بوضع الوشم على أيدي البربر العاملين في حرس دار الولاية. مما اعتبره البربر تمييزاً عنصرياً وإنزالهم بمنزلة النصارى. فضاقت البربر بظلمه وسئموه حكمه. فرفضوا ذلك بعنف وثاروا عليه وقتلوه بعد شهرين من ولايته.

تتالت الثورات البربرية على الحكام الجائرين وأدت إلى قيام ثورة عارمة بقيادة ميسرة الفقير المدغري الخارجي سنة 739م (122هـ). كان ميسرة أول زعيم للبربر يعتنق أفكار الخوارج ويدعو اتباعه إليها. التف من حوله الاتباع حتى توفر عنده النصاب لقتال السلطات. ففعل وحقق الانتصار تلو الانتصار ضد ولاية الأمويين. ومن ثم أعلن نفسه خليفة. فشايعه بربر المنطقة لأسباب شتى. منها شعاراته المليئة بأفكار الخوارج الثورية تارة وسياساته ذات النعرة العرقية والمذهبية أخرى. ولكن سئم البربر تنطع ميسرة ولم يستسغ أغلبهم عنصريته وغلوه فتخلص

- 1 - قتل الحجاج عبد الله بن الزبير وصلبوا بعدما قصف من كان بالكعبة المكرمة بالمنجنيق ما أدى إلى احتراقها. علما بأن عبد الله بن الزبير كان أول من كسا الكعبة المشرفة بالديباج وأحد قادة الفتح والعبادة الذين دخلوا ليبيا.
- 2 - المزني - مصدر سبق ذكره ص 65.
- 3 - البرغوثي - مصدر سبق ذكره (الهامش) ص 86.
- 4 - الزاوي - الفتح العربي ص 152.
- 5 - البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 84-86. الزاوي - المصدر نفسه ص 155.
- 6 - المصدر نفسه ص 155.
- 7 - الدراجي - مصدر سبق ذكره ص 114.

منه اتباعه بقتله.

وقد افترنت تلك الحقة باستفحال دعوة الخوارج، فوجدت في نفوسهم أرضاً خصبة، فنمت وانتشرت، وحدث ما حدث، حتى أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عندما بلغت مسامعه ثورات البربر غضب وأقسم قائلاً: والله لأغضين غضبة عربية، ولأبعثن لهم جيشاً أوله عندهم (البربر) وآخره عندي. ولكن حكام بني أمية ومن بعدهم العباسيين لم يفرقوا بين المسلمين على أسس عرقية فقط بل حتى بين قبائل العرب، وخير شاهد

1 - الخوارج هم من خرج عن الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب بعد رفضهم للتحكيم بينه وبين غريمه معاوية بن أبي سفيان اثر معركة صفين، مع أنهم كانوا اخلص رجاله. ومن ثم انسحبوا إلى قرية حروراء على مقربة من الكوفة، ونادوا بأية الحاكمية استثناساً بقوله تعالى "إن الحكم إلا لله". ومن لم يلتزم بذلك يكفر ويخرج عنه ويقال، فرد عليهم الإمام علي قائلاً: كلمة حق والمراد بها باطل. وقد قاتلهم الإمام علي وانزل بهم هزيمة شنعاء، فما كان منهم إلا أن قتلوه غيلة بيد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم سنة 661م/41هـ بعد تكفير كل من الخليفة عثمان ابن عفان والإمام علي وتكفير ابنه الحسن والحسين، والمسلمين من مخالفيهم. لاقت دعوتهم انتشاراً واسعاً بين البربر في أفريقية وحكمت منهم سلالة الرستمية الإباضية، وأنقسم الخوارج إلى الصفرية والنكارية والأزارقة وغيرهم من غلاة الخوارج، والإباضية، على الرغم من إنكارهم الشديد لهذه الصلة، مع أن الإباضية قال فيهم ابن الحزم هم اقرب فرق الخوارج إلى أهل السنة والجماعة.

راجع: الشكعة - إسلام بلا مذاهب ص 121-163. موسوعة المورد - مادة: (الخوارج).

2 - الخليفة الأموي العاشر 724-743م (105-125هـ)، يعتبر أحد أبرز خلفاء بني أمية، وقد وضعه المؤرخون العرب في مرتبة تلي مرتبة معاوية وعبد الملك بن مروان، في عهده بلغت الدولة الإسلامية أقصى اتساعها، ووصلت جيوشه أبواب بواتيه "Poitiers" (فرنسا) حيث وقعت معركة بلاط الشهداء، أصلح نظام الزراعة، وعمل على تعزيز موارد الدولة، وضع سياسة عمرانية ناشطة، وبنى عددا من القصور في سوريا.

3 - البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 87.

4 - المنزني - مصدر سبق ذكره ص 55.

على ذلك ما فعلوه من جرائم يندى لها الجبين مع الهاشميين عامة وآل البيت خاصة من قتل وتشريد إلى درجة الإبادة، وفي هذا المد والجزر السياسي كانت للبربر مواقف متباينة ومنقسمة، فقبيلة كتامة شايعت الفاطميين وزناتة عاضدت الأمويين، بينما ناصرت صنهاجة العباسيين ودعوتهم، وخصوصاً في عهد أشهر أمرائهم على أفريقية (تونس وطرابلس) شرف الدولة المعز بن باديس الزيري الصنهاجي.

1 - لقد قتل ومثل جند يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي بالحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي وأهل بيته في كربلاء بالعراق، والاثنتان من قريش.

2 - Brett, op. cit., p 97.

3 - الراوي - تاريخ الفتح ص 241-242.

هجرات القبائل العربية إلى الديار الليبية

توالت على العالم الإسلامي أكثر من دولة بعد الخلافة الراشدة. فكانت أولها دولة بني أمية، أسسها معاوية بن أبي سفيان 661م (41هـ). والذي ورثها لابنه يزيد، ودام حكمهم 89 سنة وتبادلها 14 خليفة، وسميت بالدولة الأموية. وعرفت بنعرتها ونزعتها للعرب، وخاصة لبني أمية. وعداؤها للهاشميين، وخاصة العلويين. وسوء معاملتها لبعض الموالي (المسلمين من غير العرب). بلغ هذه التعصب درجة لا يسمح لغير العربي بإمامة المسلمين في الصلاة. أطاح وقضى على

1 - اشتهر بالدهاء والحلم، قاتل الخليفة الرابع علياً كرم الله وجهه في معركة صفين. وصالح ابنه الحسن الذي تنازل له عن الخلافة، بايعه وقاتل معه أول قادة الفتح في ليبيا عمرو بن العاص ضد الإمام علي، نقل عاصمة الخلافة إلى دمشق وجعلها وراثية في ذريته، أمر ببناء أول أسطول بحري عربي. راجع: الزركلي - الأعلام ج 7، ص 262.

2 - نقل البعض لا سيما الشيعة بأن خطباء بني أمية كانوا يسبون ويلعنون الإمام علي وزوجه فاطمة الزهراء وأبناءهم من فوق المنابر تلبية لأوامر خلفائهم، وعندما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان أوقفها وأستبدلها بقول الله تعالى "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإبتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى..." وسرعان ما إسترجعوها ثانية بعد موته، ولكن كذب البعض الآخر في ذلك واعتبره خاملاً في غير محله.

راجع: الصلابي - سيرة أمير المؤمنين وخامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي بن أبي طالب ص 350-357.

3 - المزيني - مصدر سبق ذكره ص 66.

كتب اليازوري وزير المستنصر
إلى ابن باديس وأهل أفريقية قائلاً:

أما بعد :

فقد أرسلنا إليكم خيولاً،

و حملنا عليها رجالاً فحولاً،

ليقضى الله أمراً كان مفعولاً.

1 - ابن خلدون - كتاب العبر (المعروف بتاريخ ابن خلدون) ج 4، ص 131.

حصلت حركتهم على دعم قبيلة كتامة البربرية وتشجيع لهم شيوخها وسوادها، وفي عهد المعزز حذوا إلى برقة فواجهتم مقاومة شديدة من قبائلها الذين رفضوا التشيع، ولكن استطاعوا أن ينتزعوا منهم الطاعة بحد السيف، ومن ثم فزان ومنها إلى مصر، وانضمت إليهم قبيلة زويلة البربرية وآخرون بقيادة جوهر الصقلي الذي بنى القاهرة وجعلها عاصمة لهم، واستخلف المعزز بعد انتقاله إلى القاهرة بلكين الزيري الصنهاجي البربري في حكم أفريقية ليغطي تونس وطرابلس وشرق الجزائر.

أصبح المعزز بن باديس أحد حكام بني زير في الدولة الفاطمية، ونُصّب أميراً بعد موت أبيه عام 1015م (406هـ) على أفريقية التي كان أكثر الناس فيها مع مذهب الشيعة الإسماعيلية الفاطميين، ولكنه كان يظهر التشيع لهم ويبطن التسنن على مذهب الإمام مالك منقوضاً لما كان يفعله إباؤه؛ ولكن سرعان ما اكتشف أمره، فوقف مع القبائل الكبرى كصنهاجة وزناتة، فحرضهم بمعية علماء المالكية على قتل الشيعة الذين يسبون الصحابة ويتركون صلاة الجمعة، ومزق راياتهم وأمر بلعنهم على المنابر، ففضى على مذهبهم ومذاهب المعتزلة والخوارج - مستثنياً الإباضية - وحمل كل الناس على المذهب المالكي، وفي سنة 1051م (443هـ) انضم إلى ابن باديس أمير

1 - الزاوي - أعلام ليبيا ص 273-274.

2 - كانوا ينادوا بقتل المشارقة، أي كل من كان متشيع للمذهب الفاطمي الذي أتى من الشرق، الزاوي - تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص 288.

دولة بني أمية العباسيون الهاشميون بقيادة عبد الله السفاح، ودام حكمهم 508 سنة وتبادلها 37 خليفة. وبعد فترة من المنعة والحكم المركزي، تسلسل نفوذ الموالي إلى جسد الخلافة، مما أدى إلى انفصال عدة دويلات عن الكيان العباسي، منها الدولة الفاطمية (العبيدية)، وهم من الشيعة أتباع المذهب الإسماعيلي 909-1171م (297-567هـ)، التي أسسها عبيد الله المهدي في المهدي بتونس، ومن بعده 13 خليفة.

1 - بوع لهم في خراسان وتسلموا الحكم ونقلوا مركز الخلافة إلى بغداد، واستحوذ الفرس على زمام الدولة، ومن ثم المالك الترك الذين حجوا النفوذ العربي، وأدى نفوذهم إلى قيام الدولة العثمانية فيما بعد، انفصلت عن جسد الخلافة العباسية دول كثيرة انفصلاً كلياً أو جزئياً كالدولة الحمدانية في حلب، والإخشيدية والأيوبية في مصر، والفاطمية في أفريقية، والغزنوية في خراسان وأفغانستان والهند، والسامانية في خراسان وما وراء النهر، وفي عهدهم ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية واتسعت رقعتها، ونضجت الحياة الأدبية والفكرية في كل العلوم الدينية والعلمية.

Bosworth, op. cit., p 10.

2 - سُموا فاطميين نسبة إلى فاطمة الزهراء - رضى الله عنها، وينتسبون إلى السلالة العلوية عن طريق إسماعيل بن جعفر الصادق، فهم شيعة إسماعيلية خلافاً للأثنى عشرية والزيدية، اخضعوا شمال أفريقيا وجنوب إيطاليا بما فيها صقلية، وبسطوا نفوذهم على سوريا ولبنان وفلسطين، تولى صلاح الدين الأيوبي وزارتهم، فتصرف في شؤون الملك في مصر، فانفرد بها وأزال دولتهم، أهم أثارها العمرانية مدينة القاهرة، عاصمة مصر الحديثة، والثقافية بناء جامع الأزهر الشريف بالقاهرة.

3 - Bosworth, op. cit., pp 46-48.

4 - ينسب إليه العبيدون؛ وهو عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر من ذرية الحسين ابن علي - رضى الله عنهم، اختلف النسابة فيهم، فأكد ابن خلدون صحة نسبهم وقال: ولا يلتفت لإبتكار هذا النسب، وله على صحته حجج ويجرح في رواية من ينكره أو يقدح فيه (المجلد الثالث صفحة 380)، بينما أنكر ابن حزم في جمهرة الأنساب عليهم شرف الأنتساب إلى آل البيت وقال: هذه دعوى مفتضحة وكذب فاحش.

راجع: الزاوي - تاريخ الفتح العربي ص 232.

برقة وأهلها ونبذوا الطاعة للعبيديين ودعوا للقائم بأمر الله العباسي.

وعندما فك ابن باديس عقد البيعة للفاطميين سنة 1050م (442هـ) وحويلها للعباسيين أُعتبر هذا العمل بمثابة إعلان الحرب. فأشَّير على الخليفة الفاطمي الثامن المستنصر بالله من قبل أعوانه، وعلى رأسهم وزيره الحسن بن علي اليازوري، بإنزال أفسى ما يملكون من عقاب بابن باديس، فرأوا ليس في ملكهم أسوأ من أن يبعثوا له جراد القرامطة العرب من بني هلال وسُليم والمنضوون معهم.

هلال وسُليم، حسب تصانيف الأنساب العربية، يعتبران من قبائل مضر المنحدرة من عدنان، فهما ينتميان إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، من العرب المستعربة من سلالة إسماعيل بن الخليل إبراهيم عليهما السلام، وكانت من القبائل ذوات السيادة والريادة في عرب الجاهلية والمقدرة على القتال والتضحية في تاريخ الإسلام ما اكسبهم هيبة وأهمية في شمال إفريقيا. بعدما سيطر المسلمون من العجم على أجهزة الدولة العباسية اعتصموا بصحراء جُد، وتشيعوا

1 - البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 333.

2 - الزاوي - تاريخ الفتح ص 277، 287-291.

3 - أُسندت إليه الخلافة 1036-1094م (428-487هـ) وهو في السابعة من العمر فاستبدت أمه بأمر الدولة، دام عهده أكثر من نصف قرن، وفيها أصيبت الدولة الفاطمية بنكسات متعددة، منها الجماعة التي أصابت مصر لسبع سنوات، فخسر ممتلكات الفاطميين في شمال إفريقيا.

4 - مؤنس - أطلس تاريخ الإسلام ص 81-85.

للقرامطة ولذهبهم ولدولتهم في الشام.

يصفهم ابن خلدون بأنهم: مجرمون لصوص وقطاع طرق قوافل الحجيج، عاثوا فساداً في الأرض بالطاعة العمياء للقرامطة، فكتب: كانت هذه القبائل تغير على الضواحي ويفسدون السابلة ويقطعون الطرق، وبني سُليم كانت تغير على الحجاج أيام موسم الحجاج بمكة، وأيام زيارة المدينة المنورة.

وبعد إجهاز الفاطميين على القرامطة ودولتهم جاءوا بهذه القبائل البدوية الشرسة وأنزلوها بالعدوة الشرقية بصعيد مصر، ومنعواهم من التنقل أو المغادرة إلا بأذنتهم، مما ضيق عليهم العيش وجهد حياتهم البدوية.

أراد المستنصر أن يؤدب هؤلاء البدو الجفاة، ويتخلص منهم بأولئك المنشقين الجاحدين من ابن باديس وأتباعه، وذلك بضرب

1 - يدعو بأنهم من شيعة أهل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وسموا القرامطة نسبة إلى حمدان بن قرمط بن الأشعث الذي نشرها في سواد الكوفة في جنوب العراق سنة 891م (278هـ)، دام حكم مؤسس دولتهم الحقيقي سليمان بن الحسن بن بهرام لمدة 30 سنة، انتشرت معتقداتهم وأفكارهم بين بدو بني سُليم وكثير من ربيعة بن عامر، وصاروا جنداً لهم، الذين كانوا يفتكون لهم بالحجاج وينهبونهم، وانتشروا في جنوب شرق الجزيرة باليمن وعمان وجزيرة البحرين، واستولوا على مكة المكرمة سنة 929م (317هـ)، وفتكوا بالحجاج، وملئوا المسجد الحرام بالقتلى، واقتلعوا ونقلوا الحجر الأسود وهدموا زمزم ونزعوا كسوة الكعبة وقلعوا باب البيت العتيق وسرقوه إلى الاحساء، ثم رده بعد 22 سنة، ثم انتزعوا دمشق من الفاطميين سنة 970م (360هـ)، وحضفوا علي مصر فقابلهم وهزمهم المعز الفاطمي سنة 972م (362هـ)، قضى عليهم أمراء العيونيين في البحرين 1027م (418هـ)؛ فانقرضوا وانتهى أمرهم بعد أن دامت حركتهم قرابة قرن من الزمن.

راجع: موسوعة المورد - مادة: (القرامطة).

2 - شنقارو - فتنة السلطة ص 257-267.

3 - البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 331-335، 343-346.

عصفورين بحجر واحد، فاتصل بزعماء وشيوخ قبائل زغبة ورياح العربية، وكان بينهم خلاف وحرب فاصح بينهم؛ وصار يصف لهم أفريقية وما فيها من خيرات ونعيم، وما فيه ابن باديس الجاحد من ترف وبذخ، وقلل من قوته وسلطانة. ففكر الشيوخ في الخروج من ضيق العيش، وحلموا باستئناف حياة البدو في حلها وترحالها قريباً، وما زال المستنصر بهم حتى أجابوا دعوته، أعطاهم المال، ولكل رجل بغير ما يعينهم على السفر وقال لهم: لقد أعطيناكم أفريقية وملك ابن باديس، العبد الأبق، فلا تفتقروا بعدها.

وكتب اليازوري وزير المستنصر إلى ابن باديس وأهل أفريقية قائلاً: أما بعد فقد أرسلنا إليكم خيولاً، وحملنا عليها رجالاً فحولاً، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً.

فساحت وسرحت مئات من الآلاف من قبائل العرب وحلفائهم في تغريبة ملحمة وهجره هائلة سنة 1051م (442هـ). وهذه الهجرة كانت عبارة عن طوفان بشري، تدافعت على شكل موجات متتابعة، كانت كبراها الموجة التي دخلت برقة وعبرت إلى طرابلس، ولم تقف هناك بل غربت في انسياب إلى بقية المغرب الإسلامي، وأبناء هذه القبائل كانوا مهاجرين

- 1 - وتعني العبد الغير معتوق الفار من سيده .. وهذه مذمة ومنقصة في الأمير المعز بن باديس.
- 2 - راجع: د. عثمان سعدي (عرب يظلمون الهلاليين وأكادمي أمازيغي يدافع) - جريدة الشرق الأوسط، عدد 8655 بتاريخ 9 أغسطس 2002م.
- 3 - ابن خلدون - كتاب العبر، ج 4، ص 131.
- 4 - البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 334.
- 4 - قيل أنه عبر صحراء ليبيا نصف مليون من قبائل العرب.

بأسرهم وأمتعتهم وحيواناتهم، منها قطعان هائلة من الإبل والحمير التي وهبها لهم المستنصر. وكانت في طبيعتها أثبح ورياح من بني هلال بن عامر الذين كانوا أول من اجتاحت ليبيا في الهجرة الأولى للقبائل العربية، ثم لحق بهما فوج آخر مثلاً في زغبة، وقد أسندت إلى أمرائها الزعامة والسيادة على الأراضي التي سيطروا عليها، ثم لحقت بهم القبائل المنتمية إلى القبائل الهلالية الكبرى مثل جشم والمعقل، ثم دفعات اصغر حجماً من طرود وعدوان، وكان هؤلاء جميعاً يمثلون تركيباً متفاوتاً في تجانسهم، وقد أخذ ركب النازحين يزداد ويتضخم طوال مسيرة الهجرة، ويطلق بعناصر مختلفة من المنطقة ومن بينها بنو قرة الذين كانوا في برقة، وقبائل أخرى مما استقرت بعد الفتح مرحبين مع بقايا قبائل البربر المسلمة بإخوانهم في العقيدة والدرب.

ومن بعدها لحق بها بنو سليم بن منصور، وهلال وسليم عرفا بميلهم إلى الحرب والغزو، وكان ذلك حاضراً في حسابان وبرعاية تدابير الخليفة الفاطمي المستنصر، فاجتازوا ضفة النيل

- 1 - الزاوي - تاريخ الفتح ص 293-294.
- 2 - يرجع بني هلال إلى هلال بن عامر، بن صعصعة، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن، بن منصور، بن عكرمة، بن خصفة، بن قيس عيلان بن مضر العدنانيين، وكانوا يقطنون الحجاز وجد حول مكة وفي بسائط الطائف، وما بينه وبين جبل غزوان، ثم أقاموا بالشام وإلى مصر والمغرب الإسلامي، لازالت لهم فلول في نجد وشرق الجزيرة العربية وبادية الشام، ولكن الأغلبية العظمى في المغرب الإسلامي.
- 3 - البرغوثي - المصدر نفسه ص 335-340.
- 4 - من سليم بن منصور، بن عكرمة بن خصفة، وخصفة بطن من قيس عيلان بن مضر، من العدنانيين.

الشرقية ورحلوا عن صعيد مصر كالجراد المنتشر. وقد توقفوا ببرقة برهة من الزمن. ثم ارحلوا غرباً إلى طرابلس واكتسحوا تونس ومنها إلى المغرب الأقصى. كل هذا عقاباً لابن باديس وجزاءً لقبائل العرب نفسها.

عندما وصلوا ليبيا اقترح بنو سليم وبني هلال على البلاد ففاز بنو سليم ببرقة وما حولها، ولبني هلال غربها: طرابلس وقابس. ودفع بنو سليم ببني هلال غرباً. ومن الدفعة الأولى من الهلاليين الاثيج، ورياح. والدفعة الثانية تكونت من بني زغبة وجشم. وبعد أعوام لحق بهم بنو عدوان. وطرود. وكذلك كهلان وهي قحطانية؛ وقبائل أخرى غير مشهورة من فزارة وأشجع من بطون غطفان. وعدى. وسلول بن مرة، والمعقل من البطون اليمنية. والاثيج في الهلاليين أوفر عدداً. وأكثر بطوناً فيمن دخل ليبيا.

فعندما دخل بنو سليم برقة وما حولها. وجدوها شبه خالية. لأن أهلها البربر حاربوا المعز لدين الله الفاطمي ففتك بهم حتى كاد يفنيهم سنة 968م (357هـ). أما في الغرب فخرج المعز بن باديس إليهم في طليعة من عرب الفتح من رياح وزغبة وعدى. وبربر زناتة وأبناء عمومته من الصناهجة ومن السود لصد هذا الزحف. فخانه عرب الفتح وانضموا وتحيزوا للهلاليين وللعصبة القديمة، وخذلت زناتة وصناهجة، فحلت بالمعز هزيمة نكراء، ولكنه استمر في المراوغات لحفظ ماء وجهه وحفظ ما

الزاوي - المصدر نفسه ص 296.

المصدر نفسه ص 295.

Bosworth, op. cit., p 46

تبقى من ملكه المتهاك. وبعد محاولات فاشلة لرشوة العرب وتطاحن بينه وبينهم وملاحم كادت تفتى الطرفين. استطاع العرب بعد حرب ضروس مع ابن باديس أن يتغلبوا على جيشه الذي كان أكثر عدداً. ونجا بنفسه إلى المنصورية (الصياد) قرب جنزور غرب طرابلس فيمن بقى معه. ومن بعدها لجأ إلى ابنه "تميم" حاكم المهديّة وبها تقبل وجود العرب. فزوج بناته الثلاث من أمراء العرب وهم فارس بن أبي الغيث وأخوه عائذ والفضل بن أبي علي المرادي. وتوفي هنالك سنة 1062م (453هـ) بعد حكم دام 49 سنة.

وأصبحت هذه القبائل العربية أداة حربية و دفاعية في أيدي الأسر البربرية الحاكمة، وقمعية لكل من عاды الحكومة، لما بينها من مصالح مشتركة. الأولى تريد المال والجاه والأراضي، والأخرى تريد القوة والمنعة لتمكينها في الحكم. بل تبرير بعضها. وأصبح من البربر في أجزاء من طرابلس الغرب والجزائر والمغرب الأقصى.

وتوزعت القبائل العربية في مواطنها الجديدة، فقربت أغلب بني هلال إلى تونس وما وراءها، واستقر الأمر لبني سليم في ليبيا التي كانت تتألف من خمس قبائل كبيرة هي:

- 1) بنو عوف
- 2) بنو دباب
- 3) بنو زغب

1- الزاوي - المصدر نفسه ص 299-300.

2- المصدر نفسه (الهامش) ص 292.

3- اغسطيني - سكان ليبيا [طرابلس] (تعريب التليسي) ص 30.

4- اغسطيني - المصدر نفسه ص 29-38.

(4) بنو هيب

(5) بنو لبيد :

ولحقت بهم أيضاً القبائل الموالية.

وكانت هذه القبائل مقيمة في برقة والمنطقة الوسطى شرق طرابلس؛ حتى حملة شرف الدين قراقوش سنة 1172م (568هـ). مولى الملك المظفر تقي الدين بن أيوب أخي صلاح الدين الأيوبي، وجنده من المصريين والأكراد وأنصاره في صراعهم مع الموحدين وأمراء البربر وخاصة قبيلة هواره. فانضم إليه عريان بنى دباب السُّليميين وكثير من الهلاليين، والشَّيخ مسعود بن زيان شَيْخ الدواودة الرياحيين، ورفض الشَّيخ مرغم بن صابر بن عسكر شَيْخ الجوارى الانضمام إلى قراقوش فقبض عليه وباعه إلى النصارى. فقويت شوكتة مما أدى إلى احتلال طرابلس. وغيرها من الأحداث الدامية التي أدت إلى توزيع جديد للسكان نوعاً وعدداً على الخارطة الليبية، وبعد مقتل قراقوش استقر معظم رجاله من الأكراد الذين جاءوا لمساندته

1 - ليس بهاء الدين قراقوش ملوك صلاح الدين الذي ناب عنه في حكم مصر وبنى سور القاهرة وقلعتها، الذي أسره الإفرنج فافتداه صلاح الدين. ولكن شرف الدين قراقوش (قراقوش) أحد موالى الأيوبيين من المماليك، أرمني الأصل. احتل وملك طرابلس وفزان بجند جلهم من الكرد، و اخضع القبائل الليبية لسلطانه ومن رفض قتله أو نكل به أو كما فعل مع شَيْخ قبيلة الجوارى من بنى دباب فقد قبض عليه وباعه إلى حاكم برشلونة النصارى. وفي رواية أخرى تقول بأن الجنوبيين (الطلبيان) هم الذين أسروه وباعوه، وبعد صولة دامت سنين لجاء قراقوش إلى ودان حيث لقي حتفه سنة 1212م (609هـ). ويقال بأن حي قرقارش بطرابلس مسمى علي قصره الذي شيده هنالك.

راجع: كمالي - مصدر سبق ذكره ص 34.

2 - الزاوي - تاريخ الفتح العربي ص 317-320.

3 - المصدر نفسه ص 319.

4 - الزاوي - أعلام ليبيا ص 411.

القبيلة والإسلام والدولة

ونصرته، وثمة رواية واسعة الانتشار ترجع سكان ورشفانة الحاليين إلى أصل كردي. ولكن البرموني يقول: بأنهم اغلبهم من عرب الجوارى من بنى سليم، ولكن الأرجح أن الكرد استقر بهم المقام في ضواحي جنزور والعزيزية وورشفانة واختلطوا وذابوا في الأهالي من سكان المنطقة، والأهالي تعبير غالباً يطلق على أهل البلاد الأصليين الذين استعربوا بعد الفتح الإسلامي.

ارتحل قسم من بنى عوف ودباب من بنى سليم إلى تونس، ويمكن القول بأن البقية الباقية تكون الأغلبية الساحقة في غرب ليبيا، مع بعض الفروع بالجنوب التونسي، والذين مازالوا ليومنا هذا يكونوا السواد الأعظم من سكان المنطقة من ذوى الأصول العربية.

و من بنى دباب من بنى سليم :

• عرب الشرق، وهم: أولاد سالم (السوالم)، وأولاد سليمان؛

• وعرب الغرب، وهم: الجوارى والحاميد.

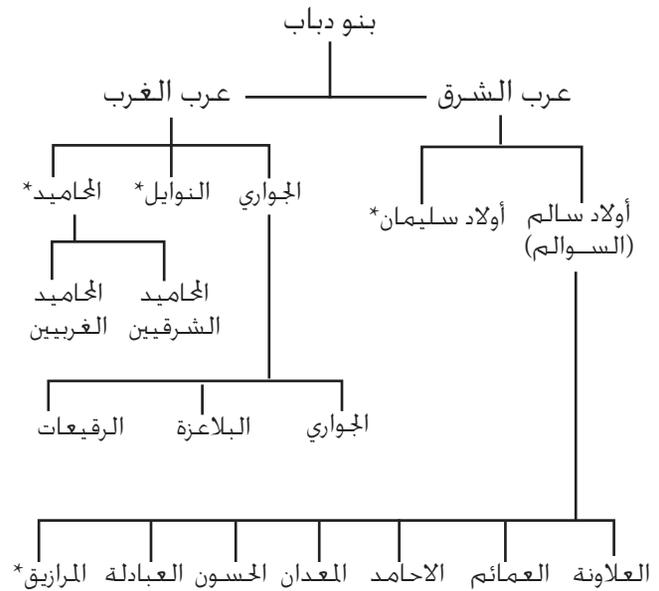
ويقصد بالشرق والغرب مواقعهم الجغرافية، وذلك يعني شرق وشرق جنوب، أي بين مدينة سرت ومدينة طرابلس، وغرب وغرب جنوب ولاية طرابلس، من مدينة طرابلس إلى الحدود التونسية.

1 - مناع - الأنساب العربية في ليبيا ص 465.

2 - الزاوي - معجم البلدان الليبية ص 171.

3 - كمالي - سكان طرابلس الغرب (تعريب حسن الهادي بن يونس)، ص 37.

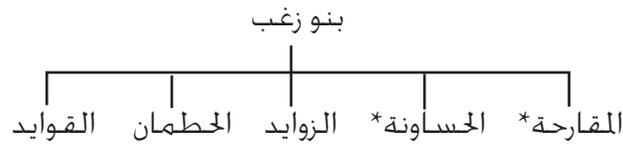
شجرة قبائل بنو دباب السُّلمية العربية في طرابلس
(أهم وأكبر كتلة قبلية متجانسة
من ناحية قرابة الدم في غرب ليبيا)



- 1 - راجع: اغسطيني - سكان ليبيا [طرابلس] (تعريب وتقديم خليفة التليسي)، ص 380.
 كمالي - سكان طرابلس الغرب (تعريب وتعليق حسن بن يونس)، ص 42-55.
 التليسي - معجم سكان ليبيا ص 336
 الزاوي - معجم البلدان الليبية ص 108، 155-171.
 الزاوي - أعلام ليبيا ص 307.
 البرغوثي - تاريخ ليبيا الإسلامي ص 342.
 *هاجرت شريحة لا بأس بها منهم إما إلى تونس أو مصر أو تشاد. راجع: باب الهجرات المتعددة للقبائل الليبية وتأثيرها في دول الجوار.

ونزلت بنو زغب السُّلمية في الجفرة وفزان. حسب ما يراه ابن خلدون. واستقر أغلبهم في واحات الجفرة وفزان وهم بدو (شبه رحل). ومنهم المقارحة، والحساونة، والزوايد، والحطمان، والقوايد وغيرهم.

(أهم واكبر تكتل قبلي متجانس
من ناحية قرابة الدم العربي في فزان بالجنوب الليبي)



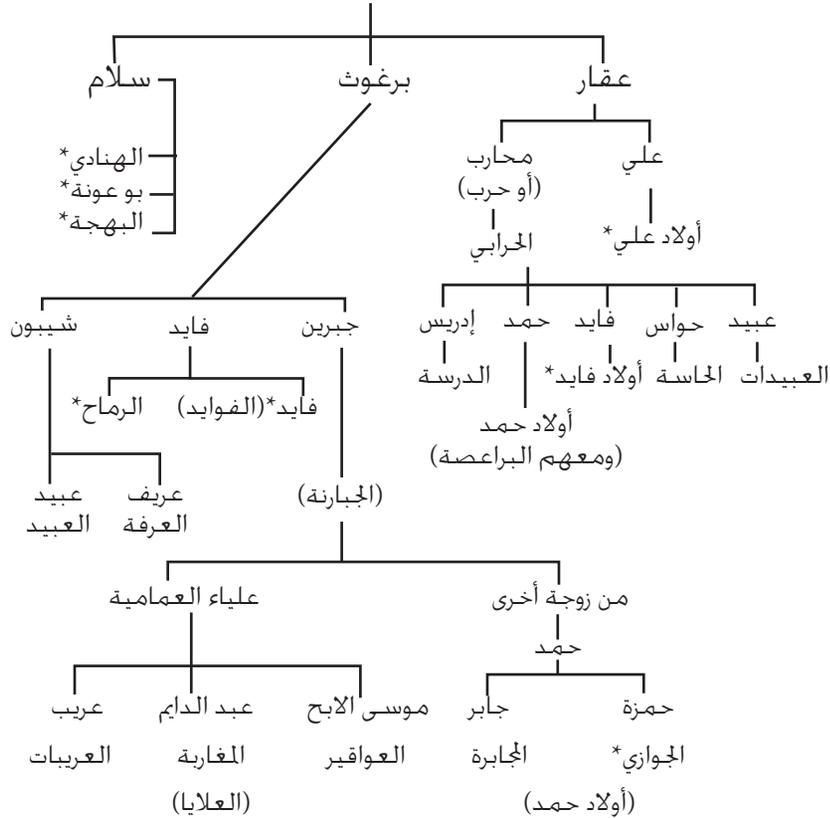
وسكنت قبيلتنا هيب ولبيد في برقة، وطبقاً لما يذكره المؤرخون العرب بأن برقة قد عُمرت بقبيلتي هيب ولبيد وبعض بطون دباب، وجماعات أخرى مثل رواحة وفزارة ونصرة وعزة وجعفر. وآخرين من أصول غير معروفة حيث تضاربت الأقوال والآراء بشدة حول أصول هذه الجماعات إذ كانوا من البربر المستعربة أو عرب الفتح.

أشهر سلالة قبلية في برقة هم "قبائل السعادي من قبيلة هيب، وهم - كما هو مزعوم - ينحدرون من صلب ذئاب أبي الليل

- 1 - كمالي - مصدر سبق ذكره (الهامش)، ص 27-28، 39.
 2 - المصدر نفسه ص 55.
 3 - راجع: كمالي - المصدر نفسه.
 *هاجرت شريحة لا بأس بها منهم إلى تشاد. راجع: باب الهجرات المتعددة للقبائل الليبية وتأثيرها في دول الجوار.

شجرة قبائل السعادي ببرقة

(من ذرية ذئاب أبي الليل السلمي العربي من زوجته سعدة بنت خليفة بن مذكور الزناتية البربرية)



*انتقل أغلبهم إلى الصحراء الغربية وصعيد مصر. راجع: باب الهجرات المتعددة للقبائل الليبية وتأثيرها في دول الجوار.

السلمي من هيب من بني سليم زعيم قبائل بني سليم وهلال التي استوطنت ليبيا، وتزوج من سعدة ابنة خليفة بن مذكور الزناتي أحد قادة ورجال الامير المعز بن باديس كما تقول الروايات الشعبية. وخلف منها ثلاثة أبناء وهم: برغووث، وعقار، وسلام. وبهذا أصبحت اكبر وأقوى قبائل برقة من خؤولة بربرية. وهذا تعبير عن حقائق تاريخية من تلاحم بين العنصر العربي والبربري. أخذاً بعين الاعتبار التسلسل النسبي الذي تعارف عليه العرب والبربر بينهم وما يثبتته من ترابط بينهما نتيجة الاشتراك في جد واحد كقاسم مشترك وعامل مساعد للتعايش معاً.

كذلك تزوج الطبقات القيادية بين العرب والبربر لاستمرارية النسل القيادي الذي عبر عن نفسه في قبائل السعادي والدور الذي لعبته في تاريخ ليبيا، وحب الآخرين في الانتماء إلى هذه الكتلة من البربر والعرب بل إن من يزعم بأنهم من آل البيت مثل البراعةصة وغيرهم من الأشراف من يعدون أنفسهم جزءاً من هذا التكتل القبلي؛ للأهمية البالغة لهذا التكتل متمثلاً في سعدة البربرية. وأغلب قبائل برقة تقول أنها تنتمي إلى هذا التسلسل. مع انهم لا يملكون السند الذي يرتقى بهم إلى سعدة. ولهذا يقرون بأنهم خليط من الجميع؛ ولكن الأهم انهم "سعادي".

1 - بازامه في كتابه " تاريخ (متصرفليك) برقة" يستنتج بأن قصة سعدة 2 عبارة عن أسطورة جاء بها الخيال، وفرضتها ظروف وأوضاع آنذاك. Brett & Fentress, op. cit., pp 136-138. 2 - كمالى - المصدر نفسه (الهامش)، ص 27-28، 39.

علماً بأن كلمة "سعاوي" تطلق على كل من انتمى إلى قبائلها بسند أو بدون. وتقال من باب التفاخر والتباهي للانتماء لهذه الرابطة. وهذا استنتاج وخالصة عدة روايات شعبية وآراء النسابة حول شجرة السعاوي ويطونها وفي مقدمتهم أستاذنا الكبير - مؤرخ برقة - المرحوم محمد بازامه الذي استفاض في دراستها وتحليلها بإمعان وفي نظري أكثر من غيره.

الباب الثاني

1. التعريب بين الترغيب والترهيب
2. الإسلام دين وهوية
3. شريحة كبيرة من الأئمة والعلماء من أصول غير عربية
4. التنافس المذهبي بين الإباضية والمالكية
5. انتشار التصوف وتعدد طرقه
6. فكرة الأصل الموحد بين العرب والبربر
7. العروبة ليست حكراً على أحد
8. تقبل العرب البربر كأنداد
9. التشابه في نمط الحياة والعقلية والقريحة
10. الصيغة الاجتماعية للأسرة والقبيلة
11. اللغة العربية وعنفوانها
12. معسكر العرب وشوكتهم
13. الهجرة والترحيل
14. العدو المشترك
15. إملءات المنافع والمصالح
16. ضغط الحكام العرب على العجم وغير المسلمين

التعريب بـير. الترغيب والترهيب

ارتكز التعريب على ركيزتين أساسيتين هما الدين واللغة، فالدين الجديد الذي أتى به العرب أصبح المحرك الأوحد لحياة الملايين من البشر من اعتنقوه على اختلاف أعراقهم وألسنتهم ... أما اللغة وتبعتها من ثقافة وعادات وتقاليد اكتسبت زخماً قوياً من الدين مما سهل للغة العربية أن تخل محل اللغات المحلية، وأن كان ذلك نتيجة سياسات اتسمت في أغلب الأحيان بالتدافعية.

ومن ثم لحق ذلك التعريب العرقي الذي كان وليد الهجرات الجماعية من العرب إلى تلك الأمصار، مما ترتب عليه تزاوج وانصهار مع السكان الأصليين غلب الدم العربي لغةً وعادات وتقاليد على الدماء المحلية. علماً أن ظاهرة التعريب سبقت ظاهرة الأسلمة، حيث سبق وأن هاجرت بعض قبائل العرب قروناً قبل بزوغ شمس الإسلام إلى العراق وبلاد الشام، وتحديداً قبيل ظهور الإسلام بقرنين كانت القبائل العربية تتمتع بالملك والحكم في حمص والرها وما جاورها من الساحل. كما قامت مملكتان مزدهرتان عربيتان في تدمر والحيرة، فاستوعبت فلسطين وشرق

انطونيوس - بقطة العرب: تاريخ حركة العرب القومية ص 73.
المصدر نفسه ص 74-75.

قال الشاعر العربي :

دعي القوم ينصر مدعيه
ليحلفه بذى الحسب الصميم

أبي الإسلام لا أب لي سواه
إذا افتخروا بقيس أو تميم

الأردن أكبر نسبة من العرب وكان حظ بلاد الشام والعراق دون ذلك. وحظ الشمال الإفريقي أقل منهما.

لذا تغير مفهوم العروبة من القبلية الفاصرة على البداوة في قلب صحراء الحجاز وجد الربع الخالي في جنوب وشمال جزيرة العرب. إلى عروبة الحض. عروبة المدن الحاذية للشواطئ، وعروبة الصحراء التي تقطنها أعراق وقبائل غير عربية. إلى خارج الجزيرة العربية. ومن عروبة الجاهلية والثارات. إلى عروبة الإسلام والتعايش بالحوار والتسامح.

والعروبة المغربية تختلف عن العروبة المشرقية في منطلقاتها ومضامينها، إن إحدى لوازم العروبة في المغرب العربي هي الإسلام بينما في الشرق العربي ليس ذلك بضرورة. وفي المغرب العربي. وخاصة ليبيا، الإسلام والعروبة خيطان ملتصقان لا فصل ولا افتراق بينهما. ومن اعتنق الإسلام ديناً تقبل العربية لغة رسمية، وانتفى إلى الأرض. وشعوب المنطقة العربية المجاورة. وكذلك الولاء السياسي والثقافي. والتكامل والتبادل الاقتصادي باسم الإسلام والعروبة.

فمصطلح العروبة كان ومازال مطاطي الطبيعة، واستيعابي الأسلوب للغير، ليس هذا من باب التمنن والتفضل ولكن من مقوماته الحيوية. وكذلك ضرورة أحتها الظروف البشرية. ويقسم الباحثون العرب حسب تطورهم في التاريخ وسلاواتهم إلى عرب بأئدة. وعرب مستعربة. وعرب حادثة. وفي

1 - المصدر نفسه ص 77.

2 - محمد إسماعيل على - مجلة الفيصل، العدد 158 سنة 1990م.

3 - بازامه - أثر الدين والقومية في تاريخ الأمة الإسلامية ص 144-145.

الأزمنة الغابرة والحاضرة لم يقتصر على المسلمين بل ضم ديانات أخرى. أما في ليبيا فافتصر على من اعتنق الإسلام وتحدث بالعربية واعتز بانتماؤه للعرب. سواء كان من أصول عربية أو بربرية أو أفريقية أو عثمانية أو غيرهم؛ باشتراط الإسلام للتعرب في إطار الدولة ولغرض التلييب في الآونة الأخيرة. وهذا الانتماء إلى العروبة والتحدث بالعربية كان فقط للعيش على الأراضي المكتسبة لغرض الأسلمة أولاً وأخيراً.

لذلك استوجب النظر في هذا الانصهار العام بين البربر والعرب واندماجهم في بعضهم البعض. وهو أمر لم يتم إلا مع الفينيقيين من قبل. ولم يحدث مع الأوربيين منذ قدوم الإغريق. ثم الرومان في القرن الثاني قبل الميلاد حتى الفرنسيين والأسبانيان واليطاليان في العصر الحديث. مما ادهش المؤرخون الأوربيون لسرعة إسلام البربر وتعريبهم واندماج العرب فيهم. فيقول جورج مارسليه: ففي أقل من قرن واحد اعتنق العدد الأعظم من أبناء البربر الإسلام في حماس يجعلهم راغبين في اغتنام الشهادة. وقد تمت النقلة بصورة نهائية خلال القرنين الأول والثاني للهجرة. أو القرون الثلاثة التالية غير تاركة من بلاد المغرب سوى بقع ضئيلة أصبح حتى مجرد الاعتقاد في وجودها أمراً مشكوكاً فيه.

1 - كانت قبل الإسلام قبيلة حمير (يهودية). وقبيلة جران (نصرانية). ولا زال إلى يومنا هذا عرب مسيحيون في مصر والسودان والعراق وبلاد الشام، كما هي الحال مع اليهود في المغرب واليمن. راجع: بازامه - المصدر نفسه ص 76.

2 - البرغوثي - تاريخ ليبيا الإسلامي ص 94-95.

3 - George Marcais - Les Berberie Musulmane er l'orient au Moyen

Age نقلاً عن العرياوي - البربر عرب قدامى ص 64..

والبعض يتساءل لماذا لم يرتد البربر عن الإسلام بصورة نهائية؟ ولعل الإجابة تكمن في الإسلام نفسه.

والتعريب تقاطب بالترغيب والترهيب. وعلى الرغم من تضادهما إلا أنهما خدما العروبة والإسلام. حيث وضعاً سكان المنطقة تحت ضغوط أدت نتیجتها إلى التعريب. فقطب الترغيب كان أقواهما. وامتثالاً في الإسلام بما فيه من مفاهيم وعناصر اكتناف واستيعاب وسيادة. ويأتي بعده قطب الترهيب بما فيه من نعة شوفينية ومغالية في عصبيتها بحبها للعرب دون سواهم. وعقدة التفوق والعلو على الغير.

ففي مسيرة التعريب كثير من مقومات الترغيب وقرائنه. ومنها:

1) الإسلام دين وهوية :

وبمجيء الإسلام تبلور مفهوم العروبة، فدخلت أفواج من البشر على مختلف مشاربها العرقية في بوتقة الإسلام باعتباره رسالة تدعو إلى المؤاخاة وتسعى إلى تحرير الإنسان من العبودية والاسترقاق. وقد يسر انتشار الإسلام بين البربر قربه من فطرتهم وبساطة رسالته من حيث الفهم أو الاعتراف. وقد أزال الإسلام الحواجز الاجتماعية ولم يصطنع بينهم وبين العرب كلفة مثل تلك التي كانت بين البربر وحكامهم من الروم البيزنطيين. وهذا انسجاماً مع ما يدعو إليه الإسلام من مساواة.

- 1 - كمالي - سكان طرابلس الغرب (تعريب حسن بونس). (المقدمة) ص 8.
- 2 - مطر - الذات الجريحة (إشكالات الهوية في العراق والعالم العربي) ص 312.

فالإسلام ليس ديناً عرقياً، ولا يختص بعرق دون عرق. وليس من صنع قومية معينة. وبالتالي هو ليس من معطيات العرب ولكنه من فضل الله تعالى عليهم. ويؤكد القرآن على هذه المسألة الإلهية حيث قال جل شأنه: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم ... وقال تعالى ... إن الدين عند الله الإسلام". ولكن الله تعالى اختار لغة العرب لتكون لغة الوحي والتفاهم بين المسلمين. والعروبة عروبة اللسان الذي أنزل به القرآن الكريم كما جاء ذلك في أكثر من ثمان سور منها: إنا جعلناه قرءاناً عربياً". ... وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً. ... بلسان عربي مبين. ... وهذا لسان عربي مبين.

وجاء في الأحاديث الشريفة على الرغم من ضعفها: يا أيها الناس إن الرب واحد، والأب واحد، وليسست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان. فمن تكلم بالعربية فهو عربي". وعروبة الانتماء هي إلى النبي عليه الصلاة والسلام وإلى آل بيته وصحابته. ومن هذا المنطلق فالعروبة التي يُعْتز بها ليست ضرباً من القومية. وقد خاطب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

1 - الحصين - القومية العربية من منظور إسلامي ص 20.

2 - سورة الحجرات، آية 13.

3 - سورة آل عمران، آية 19.

4 - سورة الزخرف، آية 3.

5 - سورة الاحقاف، آية 12.

6 - سورة الشعراء، آية 195.

7 - سورة النحل، آية 103.

8 - قال الألباني في السلسلة الضعيفة الجزء 2/ الصفحة 325/ رقم الحديث 926: بأنه حديث ضعيف جداً، رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ج7/ ص 203.

قومه من بني هاشم، وهم من قريش سيدة قبائل العرب: يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأَسَابِكُمْ فوالله لا أغنى عنكم من الله شيئاً.

فالعروبة الإسلامية هي التي جعلت العرب أمة حضارية تضاهاى أعظم الأمم بتاريخها الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والإنساني. وكل ما حصل للعرب من تقدم وعزة ورفعة إلى يومنا هذا بفضل الإسلام وحده. وقد امتد فضل القرآن على لغة العرب فجعلها مقدسة وهي اللغة العالمية لجميع المسلمين في العالم والجنة. وحماها من التفتت والانقسام إلى لغات ولهجات لا يفاهم المتحدثين بها مع بعضهم البعض. كما حصل مع اللغة اللاتينية بعد تمزقها إلى عدة لغات منها الإيطالية والأسبانية والبرتغالية والفرنسية.. الخ. كذلك أصبحت مكة مهوى أفئدة المسلمين في العالم. وهذا كله لحكمة إلهية.

وهذا ليس تقليلاً من شأن العرب المسلمين. ولكن من

- 1 - ذكره الزمخشري في تفسيره للقرآن، وقال الحافظ الزيلعي في تحريجه لأحاديثه جـ 1 صـ 91: "غريب جداً".
- راجع: تخريج الأحاديث والآثار لجمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي، الطبعة الأولى سنة 1414هـ تحقيق عبد الله السعد، دار ابن خزيمة، السعودية.
- وثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاطب قريشاً قائلاً: "إن أوليائي منكم المتقون؛ فإن كنتم فذاك، وإلا فانظروا، لا يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالأنفال، فيعرض عنكم".
- رواه البخاري في كتاب الأدب المفرد، 75/40. قال الألباني في صحيح الأدب المفرد 55/56: "حديث حسن".
- 2 - الحصين - مصدر سبق ذكره صـ 20.
- 3 - أصبحت اللغة العربية أحد لغات العالمية المتخاطب بها في هيئة الأمم المتحدة إلى جانب الإنجليزية والفرنسية والروسية والمندرين الصينية والأسبانية.

باب التحدث بنعم الله تعالى لاختيارهم لهذا الدور التاريخي العظيم، والسمو بهم إلى طبقات العلو والرقى. فهناك من الأحاديث التي وضعت أو رفعت على ضعفها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن فضل العرب مما ساعدت وأسعدت في التعريب، فنسب إليه عليه الصلاة والسلام في فضل العرب قوله: حب العرب إيمان وبغضهم نفاق. ... إن الله اختار من بني آدم العرب ومن العرب مضر ومن مضر قريشاً واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن ابغض العرب فببغضهم أبغضني. ... إذا ذل العرب ذل الإسلام.

وجميع هذه النصوص جعلت من التعريب مادة للترغيب في الانتماء إلى الإسلام، لما فيه من مساواة وعدالة بين الناس على مختلف ألوانهم وألسنتهم. والعروبة هوية لهذا الدين الحنيف الذي أقر القاعدة الذهبية، بأنه: لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح. ولذلك استأنس الإباضية بالآية

- 1 - رواه الطبراني في المعجم الأوسط، 2537/76/3. قال الألباني في السلسلة الضعيفة 1190/329/3: "حديث ضعيف جداً".
- 2 - رواه الحاكم في المستدرک، 6953/83/4. والطبراني في المعجم الأوسط، 6182/200/6. قال الألباني في السلسلة الضعيفة 3038/75/7: "حديث ضعيف".
- 3 - رواه أبو يعلى في معجمه، 1881/402/3. قال الألباني في السلسلة الضعيفة 163/301/1: "حديث موضوع".
- 4 - صيغة حديث: "يا أيها الناس! إن ربكم واحد، وإن أبائكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فيبلغ الشاهد الغائب".
- رواه الإمام أحمد في المسند، 23536/411/5. قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة 2700/449/6 "حديث صحيح".

الكرامة: إن أكرمكم عند الله اتقاكم وجعلوا شروط الخلافة في من توفر فيه الكرم والتقوى. واسقطوا القرشية أو الهاشمية كما قال بذلك السادة الأحناف. واتفق جميعهم على أن الإسلام بالعرب يبقى وبالعجم يقوى. والدكتور كلوفيس مقصود يقول: لا عروبة بدون إسلام، ولا إسلام بدون مرجعية عربية.

وأن التعريب تأكيداً وإصراراً على مقتضى المرجعية العربية للهوية الإسلامية، وكل لغات المسلمين جدها مطعمة بالعربية، بل حتى بعض اللغات الأوربية التي تتفاوت فيها نسبة اللغة عربية من غلبة، مثل المالطية، إلى نسبة لا بأس بها مثل الهندية والأسبانية والخ.

(2) شريحة كبيرة من الأئمة والعلماء والمفكرين المسلمين من أصول غير عربية:

عدد من أئمة المذاهب الإسلامية وأهل العلم والقادة من أجناس مختلفة وألوان متباينة، وإلى جانب العرب منهم كان ومازال في جوهر الفكر والدعوة الإسلامية العربية المبنية على قواعد عربية، ولكن من عنى وسهر لهذا البناء الحضاري الشامخ كان جلهم من غير العرب. وتذهب كثرة من مصادر التاريخ

1 - سورة الحجرات، آية 13.

2 - الشكعة - إسلام بلا مذاهب ص 139-140. الطبطائي - الإباضية تاريخاً وعقيدة ص 54.

3 - أكاديمي ومفكر لامع، لبناني مسيحي كان يشغل منصب رئيس الجامعة العربية بلندن في التسعينات، وتم أصبح رئيس مركز دراسات الجنوب بالجامعة الأمريكية بواشنطن.

4 - الحصين - مصدر سبق ذكره ص 83-86.

القبيلة والإسلام والدولة

المعتبرة إلى أن الإمام أبي حنيفة وابن حزم الأندلسي والإمام الطبري من طبرستان والبيهقي من أصول فارسية. كذلك من أصول عجمية كل ابن سيرين وابن خلكان والشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل وياقوت الحموي وسيبويه وابن سينا. والليث بن سعد، إمام أهل مصر في عصره من أصول خراسانية، وإبراهيم الإجدابي - الفقيه الأديب النسابة - من قبيلة لواتة البربرية التي كانت تسكن إجدابيا بليبيا قبل هجرة بني هلال وسليم. وكذلك هناك من قال بأن شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية من أصول غير عربية.

أغلب أصحاب كتب الحديث من غير العرب ابتداءً من الإمام البخاري والترمذي وابن ماجه إلى الإمام النسائي. حتى علم القراءات الذي به احكم نطق أي الذكر الحكيم أو ما يعرف بعلم

1 - تذهب بعض المصادر بالقول بأن الإمام مالك والإمام الشافعي من أصول أعجمية (فارسية) وأخوالهما من اليمنيين، والى أجدادهم القبائل العربية. فانتسب أجداد مالك إلى بني تيم، وأجداد الشافعي إلى قريش. ولكننا بعد تحييص نري ترجيح عربيتهم على القول بأعجميتهم، أما أبو حنيفة فهو حفيد لعبيدا فارسيا.. والله تعالى اعلم.

Cf; Hitti, History of the Arabs, p 397.

2 - خليفة، عبد الكرم - ابن حزم الأندلسي (حياته وأدبه) ص 11-14.

3 - الزحيلي - الإمام الطبري ص 29-30.

4 - الزركلي - الأعلام ج 5، ص 248.

5 - السعيطي - مدينة من مدن الشمس: إجدابيا ص 77.

6 - هناك من يقول بأن أصوله كردية. ولكن الشيخ محمد أبو زهرة نقل في كتابه "تاريخ المذاهب الإسلامية" أن الأستاذ بهجت البيطار أثبت أن ابن تيمية عربي نمري، وأكد على عربيته، راجع: إبراهيم محمد العلي - شيخ الإسلام ابن تيمية رجل الإصلاح والدعوة (دار القلم - دمشق - 2000م) ص 36. نقل فيه رأي الزكاوي في كتابه "الزيارات" ص 94 بأن ابن تيمية هو عربي الأصل.

7 - الحصين - مصدر سبق ذكره ص 83-86. أمين - ضحى الإسلام ص 171-203. الوائلي - هوية التشيع ص 94-98.

التجويد لصون الكلمات القرآنية من التحريف والتصحيح والزيادة والنقص عنى به من هم من أصول موالي، أي ليسوا من العرب. وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف محقق كتاب "السبعة في القراءات لابن مجاهد" بأن "أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن عامر البحصبي عريبان والباقون من القراء [السبعة] من الموالي". وأكثر القراءات المتبعة في المغرب الإسلامي قراءة الإمام نافع وهو من الموالي وتلميذه عثمان بن سعيد المصري الملقب - ورش - وأصله من أقباط من مصر.

أما أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، درة جبين الإباضية وأحد أوطاد المذهب، كان اسود اللون زنجي الهيئة، اعور، وهذه العيوب تلاشت أمام علمه وفضله وزهده وتقواه. وأسرف الإباضية فيه إسراف الشيعة في مدح الإمام علي والثناء عليه، حتى قائل أحد العلماء الإباضية المعاصرين له: أبو عبيدة مسلم.. أحيى به أرواح الحق في أقطار شتى، وكساه من لدنه وقاراً، وأضفي عليه من ملابس الإيمان أوفاهها.

ولو أردنا أن نسترسل ونتتبع هذا الخط في نبش أصول العلماء فسنصل إلى نسبة عالية جداً من الناحية الأصول والموالاتة والخؤولة بين العلماء والمؤرخين والمفسرين إلى غير الأرومة العربية. وإبراهيم ابن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

- 1 - علم التجويد يتناول الكلمات القرآنية من حيث إحكام حروفها وإتقان النطق بها وبلوغ الغاية في تحسينها وإجادة التلفظ بها.
- ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى البغدادي التميمي) - السبعة في القراءات - تحقيق شوقي ضيف - دار المعارف المصرية 1400هـ (1980م).
- 2 - المصدر نفسه ص 53.
- 3 - الشكعة - مصدر سبق ذكره ص 148-149.

أمه مارية المصرية - القبطية سابقاً - وعلي زين العابدين بن الحسين أمه شاه زنان ابنة يزيدجرد أحد ملوك الساسانيين الفرس. والسيدة حميدة بنت صاعد - زوج الإمام جعفر الصادق (الإمام السادس عند الاثنى عشرية) وأم الإمام موسى الكاظم (الإمام السابع) صاحب المشهد والمزار العظيم في حي الكاظمية ببغداد - بربرية الأصل.

علاوةً على كثير من القادة المظفرين مثل طارق بن زياد من البربر وصلاح الدين الأيوبي كردي وآخرون من ولاية وحكام المسلمين من غير العرب سواء كانوا بربراً، أو سلاجقة، أو أيوبيين، أو ماليك، أو صفويين، أو عثمانيين أو غيرهم، ولهذا سهل هذا الدين والعروبة بنفسها، عملية التعريب.

(3) التنافس المذهبي بين الإباضية والمالكية :

كان للمذهب الإباضي السابق في الانتشار في شمال أفريقيا عامة والديار الليبية خاصة. وكان آنذاك مذهب أغلبية السكان وكسب أنصاراً وشيعةً له خاصة في طرابلس وجبل نفوسة، فانتشر في خلال عشرين سنة في ما بين سرت وتلمسان قرابة 737م (120هـ) على أيدي سلمة بن سعيد الذي قدم من المشرق إلى أفريقية، واجتمع بكل من عاصم السدراتي وإسماعيل بن

- 1 - لوساني - الدروس البهية في مجمل أحوال الرسول والعترة النبوية ص 75-74.
- 2 - المصدر نفسه ص 106.
- 3 - الشكعة - مصدر سبق ذكره ص 135.
- 4 - الطبطنائي - الإباضية تاريخاً وعقيدة ص 61-64.

ادرار الغدامسي وداود القبلي النفاوي وعبد الرحمن بن رستم واخذوا عنه المذهب الإباضية، ثم ذهب جميعهم إلى البصرة لتتفقه ومكثوا خمس سنوات ثم رجعوا دعاة وأعلام لهذا المذهب القابل للانتشار لما له من اعتبارات سياسية لكونه مذهب بناوي السلطة المركزية، ويعطي أتباعه الشرعية للخروج عن معسكر السلطان ومحاربه إذ ما ثبت انحرافه عن الدين، وكان ذلك للبربر بمثابة آلية للتنفيس عن سخطهم على ولاية العرب الجورة، وتطلعاً إلى التمكين لهم في المناطق الأهلة بهم.

لقد انتشر المذهب الإباضي قبل مجيء، أو بالأحرى خروج، المذهب المالكي إلى الفضاء الفقهي الذي انتشر على يد علي بن زياد العيسبي، الطرابلسي المولد والنشأة، تلقى المذهب عن صاحبه الإمام مالك في المدينة المنورة، إمام دار الهجرة، ثم عاد إلى طرابلس مصحوباً بالموطأ الذي تشرف بكونه أول من ادخله إفريقية، وعمل على نشر أصول وفلسفة المذهب الجديد في ربوع

- 1 - إسماعيل بن ادرار الغدامسي أحد الخمسة الذين نشروا المذهب الإباضي في الشمال الإفريقي وهو دفين واحة غدامس. راجع: التليسي - معجم سكان ليبيا ص 106.
- 2 - العرياوي - البربر عرب فداامي ص 35.
- 3 - الزاوي - تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص 156-160.
- 4 - البرغوثي - تاريخ ليبيا الإسلامي ص 84-90.
- 5 - قال عنه الشيخ الطاهر الزاوي في أعلام ليبيا - (سمع من سفیان الثوري، والليث بن سعد، والإمام مالك، وأخذ منه البهلول بن راشد، والإمام سحنون، وشجرة بن عيسى، وأسد بن الفرات ولم يكن بأفريقية أحد مثله، أول من ادخل موطأ مالك لأفريقية وفسره، كان أهل العلم بالقيروان إذا اختلفوا في مسألة كتبوا إليه ليخبرهم من هو علي صواب)، وقال الخافظ الذهبي في تاريخ الإسلام "كان إماماً ثقة متعبداً، بارعاً في العلم".
- 6 - الزاوي - المصدر نفسه ص 193-194.
- 7 - الشريف - الجواهر الإكليلية في أعيان وعلماء ليبيا من المالكية ص 34-36.

ليبيا، وانتقل ابن زياد إلى القيروان للتدريس في جامعها الكبير، فتلمذ عليه العالم والقاضي سحنون، واخذ عنه المذهب ونشره في القرن الثالث هجري (التاسع والعاشر ميلادي) في الشمال الأفريقي. وتوفي سنة 854م (240هـ).

كان البربر ينعنون كل من هو ليس إباضياً بـ "أورمين" أي روماني، ويقصد بها النصارى، لما رأوا في المذهب الإباضي من شعارات إسلامية تعبر عن آمالهم وآلامهم، ولكن سرعان ما انتشر المذهب المالكي على حساب المذهب الإباضي، وساهم ذلك في انحسار المساحة الإباضية على الساحة الليبية وتضييق الدائرة الإباضية وتحجيمها في جيوب صغيرة، ما دفع بأغلبية البربر وبعض العريان، الذين تبرروا فيما بعد، ومن أراد الحفاظ على هويته العرقية والمذهبية إلى جبل نفوسة.

وهذا التنافس جعل من الاثنين إن يتحصنا بالعلوم الإسلامية، ويتسلحا باللغة العربية لتقوية حججهم حتى يتمكنوا من تحصين قواعده الشعبية، ما أدى إلى تعريب كثير من البربر سواءً من ترك الإباضية إلى المالكية أو ما ترتب عليه من أستلحاق والانضمام إلى قبائل عربية، أو حتى من بقى على إباضيته ولكنه استمر في تعليمه وتحصنه العلمي باللغة العربية لمحاكاة أصحاب المذهب المالكي، وعلى أية حال، فإن الرغبة كانت في الانتساب إلى عروة

- 1 - الزاوي - المصدر نفسه ص 194-195.
- 2 - الشريف - المصدر نفسه ص 37-40.
- 3 - عيسى - مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن 17م ص (الهامش) 112.
- 4 - بن موسى - المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني ص 65.

الإسلام إباضية كانت أم مالكية.

وهذا التنافس المذهبي كان سلمياً في مجمله، ولم يأخذ سمة الصراع المذهبي كما هو حال فرق الشيعة وأهل السنة في المشرق الإسلامي مما ساعد على تعريب البربر بهذه السعة والسرعة.

هذا التنافس السلمي صب في خدمة التعريب الذي اجتاحت المنطقة نظراً للحاجة الماسة للغة العربية لمن أراد أن يثبت حجته أو صحة مسألة ما استنبطها من المصادر المعتبرة، ولهذا ألح علماء الإباضية من البربر واشترط على مريديهم تعلم العربية من باب طلب العلم والمعرفة وزيادة في الأجر. فهاهو الإمام الدرجيني في طبقاته ينقل أن الشيخ أبا عمران موسى بن زكريا المزاتي - من قبيلة مزاتة البربرية - يشجع طلابه على تعلم العربية، فكان يقول: تعلم حرف واحد من العربية كتعلم ثمان مسائل في علم الفروع، وتعلم مسألة واحدة كعبادة ستين سنة.

(4) انتشار التصوف وتعدد طرقه:

كان للطرق الصوفية الأثر العظيم في نشر الإسلام واللغة العربية بين سكان المنطقة وخاصة ليبيا، وما زاد في إقبال البربر على الطرق الصوفية هو توالي بعض المشايخ من ذوي الأصول البربرية على مشيخة هذه الطرق، وعلى رأسهم الشيخ أحمد بن عروس صاحب الطريقة العروسية والشيخ أحمد الزروق وغيرهم.

- 1 - الزاوي - تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص 158-161.
- 2 - الدرجيني - طبقات المشايخ بالمغرب (1217)، ج 2، ص 411.

وغالباً كانت هذه الطرق تصل إليهم ولا تنتظر السعي إليها، وتميل إلى الرقة والعاطفة "البرهانية" في استمالة مريديهم ممن هم على هامش الحياة العامة وتعيش همومهم اليومية، فتعطيهم قوة التبرك، وتعبر عن هويتهم الإسلامية المزوجة بخلفيتهم العرقية فوق التبعية المذهبية.

(5) فكرة الأصل الموحد بين العرب والبربر:

يذهب كثير من المؤرخين والنسابة العرب وبعض البربر إلى الاعتقاد والترويج لفكرة الأصل الواحد للعرب والبربر، وذلك لأنهم أرادوا توحيد أصولهم لتفسير التمازج الذي حصل بينهم في الإسلام، بعكس الفرس أو الترك. والنظريات عدة التي خاض فيها الكثير كما ذكرنا آنفاً، وما ناقشناه في مطلع بحثنا هذا تحت عنوان البربر وأصولهم.

قامت في المغرب الإسلامي عدة دول، وكان لها دور بارز في تاريخ الأمة الإسلامية، وكانت العصبية الإسلامية محور مناوراتها السياسية، بينما بقت النزعة العرقية في سُبُبات، يقول الأستاذ محمد سعيد الزاهري: لم تقم (الدويلات) على العصبية البربرية، بل قامت كلها على دعوات دينية محضة لا أثر للبربرية فيها.

- 1 - Trimingham, Sufi Orders in Islam, p 84 -
- 2 - خشيم - أحمد الزروق والزروقية ص 20-21.
- 3 - Brett and Fentress, the Berbers, p 130 -
- 4 - كمالي - مصدر سبق ذكره (الهامش) ص 24.
- 5 - البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 114-115.
- 6 - الزاهري - هل البربر ولغتهم لغة ضاد أخرى.

وذهبت كثير من الأسر البربرية التي أسست دويلات وإمارات مثل بنو خزررون الذين حكموا طرابلس الغرب قرابة 150 عام. وكذلك الحفصيين، وبنو مرين، وبنو زيان (بنو عبد الواد). وقادة الموحدين ادعوا لأنفسهم العروبة، بل أكدوا على أنهم من السلالة الهاشمية. بل مؤسس دولة الموحدين محمد بن تومرت البربري زعم أنه من نسل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وأنه المهدي المنتظر. وألف بنو زيان الكتب لإثبات نسبهم الشريف مثل كتاب "قلائد العقيان في شرف بني زيان". ولم يقتصر هذا على البربر فحسب، بل شمل الأسرة العلوية الألبانية في مصر وسادتهم من خلفاء المسلمين الأتراك العثمانيين أيضاً. حيث شط البعض في كتاب "درر الأثمان في منبع ملوك بني عثمان" بالقول بأن أصولهم عربية حجازية من المدينة المنورة.

- 1 - الزاوي - أعلام ليبيا ص 268-317. الزاوي - ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي ألي نهاية العهد التركي ص 81-97.
- 2 - اغسطيني - سكان ليبيا: دراسة تاريخية واثنوغرافية [سكان برقة]. (تعريب د. إبراهيم أحمد المهدي). ص 40-41.
- 3 - أسرة إسلامية من البربر. أنشأت دولة واسعة في شمال إفريقيا والأندلس 1130-1269م (525-668هـ) على أساس من تعاليم بن تومرت المتوفي عام 1130م (525هـ). قضى بن تومرت قرابة 15 سنة طالباً للعلم، وبعد رجوعه من المشرق دعا الناس إلى التوحيد (ومن هنا عرف أتباعه بالموحدين). وادعى المهدي لنفسه، وسمى نفسه محمد بن عبد الله. راح يجرّد الحملات العسكرية على دولة المرابطين. وبعد موته وأصل خليفته عبد المؤمن هذه الحرب فقضى على دولة المرابطين عام 1147م (542هـ) وأخضع المغرب واستولى على مراكش جاعلاً منها عاصمة ملكه.
- 4 - العريايوي - مصدر سبق ذكره ص 65.
- 5 - Bosworth, the Islamic dynasties, p 30.
- 6 - العريايوي - المصدر نفسه.
- 7 - ابن غلبون - التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار (صححه وعلق عليه الطاهر أحمد الزاوي). ص 138.

القبيلة والإسلام والدولة

6) العروبة ليست حكرًا على أحد:

العروبة لم تنحصر أو تقتصر على جنس أو لون أو دين واحد لقوم ما من أصل عرقي نقي واحد، كما هو معتقد به عند اليهود. وكل ذلك ينبع من القول إن العرب تنقسم إلى:

• البائدة:

• والعاربة - وتعرف أيضا بالباقية - وهي المستعربة والحادثة معاً.

لذلك تعرض مفهوم العروبة إلى تجاوزات، أن لم نقل إلى مزايدات تاريخية، حتى أصبح أضيق من سعة مصطلح العروبة الإسلامي. لهذا نرى أن العروبة استعملت منذ القدم كحكر على أقوام دون غيرهم، علماً بأن العرب الأوائل لم يكونوا عرباً خالصاً بالمفهوم العرقي. حيث أن جد العرب نبي الله إسماعيل أبن نبي الله إبراهيم الخليل من السيدة هاجر، عليهم السلام جميعاً، لم يكن عربياً خالصاً حسب التصانيف الواردة (عرب بائدة، وعرب باقية "عاربة ومستعربة"؛ وأضاف إليهم اليعقوبي العرب الحادثة).

علماً أن العلامة ابن حزم في جمهرة الأنساب يرد ذلك بجزم ويقول: ألا أن الذي يقطع به ويثبت ويحقق ويوقن فهو أنه ليس على ظهر الأرض أحد يصل نسبه بصله قاطعة ونقل ثابت إلى إسماعيل ولا إلى إسحاق عليهما السلام - نعني أبنى إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم - فكيف إلى نوح؟ فكيف إلى آدم؟ - عليهما السلام - : هذا ما لا مرية فيه. راجع: ابن حزم - جمهرة الأنساب عند باب "الكلام في انقسام أجدام العرب جملة" وهو الباب الأول بعد مقدمة الكتاب، وهو في الصفحة الثالثة من الكتاب المعروض بموقع الوراق.

وبهذا صنفت العرب بتواتر عند الأمة في التراث التاريخي والأدبي والأنساب إلى عدة طبقات هي من الأقدم إلى الأحدث:

* **العرب البائدة**، وهم أوائل العرب، ولهم الأسبقية على غيرهم، ومنهم طسم وجديس واميم والعمالقة وجهرهم وعاد وثمود وارم وغيرهم. وقد اندثروا وانقرضوا ولم يبق أحد منهم على أديم الأرض ينتسب إليهم، ولهذا وصفت بالبائدة.

* **العرب العاربة**، أي العرب الخالص أو العرب الصرحاء، بمعنى أنهم أنقى أصلاً في العروبة، ويعتقد أنهم من أصول جنوبية من بني قحطان من اليمن، مهد العروبة وأم العرب.

* **العرب المستعربة**، أو المتعربة، ويقصد بها غير الخالص أو النقية، وأصولهم الأولى غير عربية حسب التصانيف السالفة، وإنما تعربوا بدخولهم في الصنفين السابقين وأصبحوا عرباً، أي بالاكتساب والتجنس، فاكتسبوا صفة العروبة بالتعرب أي الاستعراب. ومنهم سيدنا إسماعيل الذي ولد لأبوين

يقول د. عبد الرحمن الأنصاري، أحد علماء الآثار السعوديين، في لقاء مع مجلة الثقافية عدد 31 السنة السادسة - الموافق أغسطس 1999م "ليس هناك شيء اسمه قحطان (عاربة) وعدنان (مستعربة) من وجهة نظري أنا .. لأن قحطان لم يظهر في أي من النصوص .. هذا تقسيم سياسي وليس تقسيماً نسبياً . ولذلك فإن هذه العملية معقدة .. وأنا لا أؤمن بهذا التقسيم ولا أؤمن بهذه الأشياء..".

بازامه - أثر الدين والقومية ص 46.

المصدر نفسه ص 113.

مطر - الذات الجرحية ص 85.

كتب حاكم المطيري، باحث كويتي في جامعة برمنغهام، في مجلة الثقافية عدد 33/32، السنة السادسة 1999م رداً على د. الأنصاري ومؤكداً إن سيدنا إبراهيم عربي الأصل فقال: " إن أصول النبي إبراهيم، جد العرب المستعربة، تعود إلى الجزيرة العربية لأن أرضه كانت العراق والقبائل والشعوب التي كانت

أعجميين، حيث سيدنا إبراهيم كان عراقياً من بلدة " أر، أو UR أور " على الضفة الغربية من الفرات بالقرب من الكوفة، وزوجه هاجر المصرية، وعاش مع قبيلة جرهم، وتزوج منهم وأول من فتقت لهاته بالعربية، ورزق باثني عشر ولداً تشعبت منها اثنتا عشرة قبيلة وهم العرب المستعربة وسكنت بمكة. ومن سلالة سيدنا إسماعيل عليه السلام العرب العدنانية، أجداد سيدنا محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام، التي تزامنت مع العرب القحطانية ومع جماعات أخرى نزحت إلى شبه الجزيرة العربية، وتداخل هؤلاء في أولئك حتى أصبح الكل من العرب المستعربة، وعممت هذه التسمية، وعدنان من ولد إسماعيل بلا شك في ذلك، ولكن تسمية الآباء بين عدنان وإسماعيل قد جهلت جملة.

تسكن ارض الرافدين قديماً ترجع، كما تؤكد الدراسات التاريخية الحديثة [؟]. إلى الجزيرة العربية التي كانت موطننا أصلياً لهذه الشعوب والقبائل قبل إن تهاجر إلى العراق بسبب الجذب، وما يؤكد ذلك معرفة إبراهيم وارتباطه بمكة كما في قوله تعالى في دعاء إبراهيم " رب أنى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم". ثم في زيارته وتردده على ابنه إسماعيل بعد إن كبر وتزوج، كما في صحيح البخاري (3365) ... ولا يبعد إن يكون قوم إبراهيم هم الذين تركوه (في مكة) ورحلوا إلى العراق. وعلى هذا فأسماعيل وذريته عرب غير أنهم جاءوا من خارج الجزيرة العربية فهم مستعربة على هذا الأساس...".

وقال البعض أور (شمال شرق بغداد).

قبيلة جرهم طردتها خزاعة وكنانة إلى اليمن حيث اندثرت، وأصبحت من العرب البائدة.

مطر - المصدر نفسه ص 306-307.

أبن الأثير - الكامل في التاريخ (تحقيق أبي الفداء القاسمي)، ج 1، ص 77-81.

نسب النبي - جريدة العرب - لندن - 14 مايو 2002م.

ابن حزم - جمهرة أنساب العرب، ولعلها من الإسرائيليات المتسربة إلى تراثنا، راجع: بازامه - أثر الدين والقومية ص 141.

حامد المهيري - أقوام العرب بائدة وعاربة ومستعربة - جريدة العرب - لندن - 6 مايو 2002م.

* **العرب الحادثة**، وهم الصيغة الحديثة من العرب التي أوجدها وأستحدثها الإسلام من يوم الشروع في عولته إلى يومنا هذا، وذلك بدخول أقوام جديدة فيه، من أعراق مختلفة جذرياً عن العرب البائدة والباقية. وهي لم تحدث من العدم ولكن ابتنت على الصرح السابق، وخلقت واقعاً عربياً جديداً شمل التغيير كل جوانبه خالياً من العرقية، متجاوزاً التسلسل بالأنساب، وذلك بالانتماء إلى اللغة والدين والأرض والشعور والولاء ونمط العيش.. الخ.

وما سلف ذكره يتبين لنا أن عرب اليوم ليسوا بضرورة عرب الأرومة، بل عرب بالظروف وأن الرسول المعظم عليه الصلاة والسلام من العرب المستعربة، أي ما اكتسبوا العروبة بالمولد وجنس أجداده بها، وأنا لا اشكك أبداً في فصل أو أصل الرسول عليه الصلاة والسلام فهو المصطفى وخيرة خلق الله تعالى وهو فوق كل ذلك، ولكن حسب القوالب والتصنيفات التي مررنا بها من بائدة إلى عاربة إلى مستعربة، فإن أجداده عليه الصلاة والسلام لم يتوارثوا العروبة بالدم والعرق ولكن باللغة والمنشأ والشعور والانتماء، لذلك قالها عليه الصلاة والسلام

بازامه - أثر الدين والقومية ص 144-149.

بازامه - تاريخ برقة في العهد العثماني الأول (الهامش)، ص 59-62.
رواه الحاكم في المستدرک، 6541/691/3، قال الألباني في السلسلة الضعيفة: 3704/176/8 "حديث ضعيف جداً".

وقد ثبت المتن عن علي رضي الله عنه: فعن أبي البختری قال: قالوا لِعَلِّي أَخْبَرْنَا عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: أَدْرَكَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ، وَالْعِلْمَ الْآخَرَ بِحَرِّ لَا يَنْزَحُ فَعُرِّهُ، هُوَ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ، أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي " الْمُنْصَفِ " 32330/395/6.
قال الألباني في السلسلة الضعيفة : 3704/176/8 : "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

في حق الصحابي سلمان الفارسي بأنه: سلمان منا آل البيت، وهذا تأكيد على أنها ليست حكرًا على أحد، وإنما نادٍ مفتوح على مصراعيه لمن أراد العضوية فيه، وليس للعرب لون واحد، ولكن للعربي أن يكون أبيض مثل عمر بن الخطاب أو أسود مثل بلال الحبشي أو عبادة بن الصامت، أو ما بين البينين كما هي حال معظم العرب قاطبة هذه الأيام، وكذلك هي ليست للمسلمين فقط، وإنما لمن أراد الانتماء إليها، وليس بالضرورة اعتناق دينها كما حدث مع فلول الصليبيين الأوروبيين في بلاد الشام الذين تعربوا وأصبح جزءاً من أبناء المنطقة مع البقاء على مسيحتهم.

(7) تقبل العرب البربر كأنداد:

العرب لم يحتقروا البربر كجنس ولم يقللوا من قيمتهم بل رأوا فيهم أنداداً لهم وأصحاب شكيمة ولديهم الكثير ليقدمونه لهم، لذلك حكم البربر شمال أفريقيا - وليبيا خاصة - أكثر من العرب، وخير دليل آل خزرون الذين حكموا طرابلس قرابة القرن والنصف، فإدى ذلك إلى اقتباس العرب للكثير من مسمياتهم وأسمائهم مثل ساسي والسنوسي والفيتوري والبكوشي وغيرها، ومفردات بربرية مثل الدلاع (أو الدلاح وتعني البطيخ)، وعادات البربر خاصة أكلاتهم مثل البازين والزميتة والكسكسو، وملابسهم التقليدية الخ، وإذا زرت ليبيا في يومنا هذا تكاد لا

الزاوي - ولاة طرابلس ص 81-97.

راجع: محمد مادي في حوار مع المنارة عن "الامازيغية وتأثيرها في لهجتنا الليبية" إبريل 2003، www.al-Manara.org

تفرق بين العربي والأمازيغي سواء في الطلعة أو الأسماء أو الزي أو الأكل. وأبقى العرب معظم التسميات البربرية للمناطق التي عاشوا فيها مثل مدينة زليطن، ومصراتة... والخ. كذلك أي مسمى أو كلمة غير عربية تبدأ بحرف (ت) فهي بربرية كتاكنس وتاورغاء وتراغن، وكلمة (للة) التي تطلق على المرأة إذا أرادوا تعظيمها، واستعملت في بيوت رؤساء الحكومات من الترك في طرابلس على النساء للتعظيم كـ "للة حلومة"، أي السيدة حليمة، أم يوسف باشا القرمانلي، وهناك بئر يسمى بـ "بئر الللة" في منطقة العزيزية، يقال أنه حفرته سيدة قرمانلية.

والعرب لم يجدوا صعوبة في التعامل مع البربر، فكانوا لا ينظروا إليهم كعبيد مقهورين وإنما كأنداد فتزوجوا منهم، وما قصة سعدة الزناتية و "ذريتها قبائل السعادي البدوية" القاطنة في بركة والصحراء الغربية في مصر إلا خير دليل، وتبرير - أو تمزغ - بعض العرب ومن ثم عاشوا في أحضان القبائل البربرية لأسباب شتى منها معيشية ومذهبية أو غيرها مثل آل الباروني وبن زكري، أو لاد عطية، والعزابة الذين أتوا من مسقط في القرن الرابع عشر ميلادي (القرن السابع هجري): وكذلك بعض من أهالي وادي ميزاب في جنوب الجزائر.

ودولة الادارسة في المغرب الذين هم في الأصل سادة أشرف

- الزاوي - معجم البلدان الليبية ص 79، 170، 317.
الزاوي - معجم البلدان الليبية ص 50، 78.
كمالي - مصدر سبق ذكره ص 143.
الزاوي - المصدر نفسه ص 79، 170، 317.
التليسي - معجم سكان ليبيا ص 258.
العرباوي - مصدر سبق ذكره ص 64.

من ذرية السبب الحسن ولكنهم بربر اللغة والبيئة والثقافة، وكذلك دولة بني حمود في الأندلس الذين عبروا عن أنفسهم ببربر اللغة والتحزب.

(7) التشابه في نمط الحياة والعقلية والقريحة:

يتشابه البربر مع العرب في العادات والتقاليد والنفسية والذهنية. ولخص هذا التشابه موسى بن نصير في قوله للخليفة الأموي السابع سليمان بن عبد الملك: أشبه العجم بالعرب لقاءً وجدةً وصبراً وفروسيةً وسماحةً.

فنظام الأسرة عند البربر قائم على النفوذ المطلق للرجل، وعلى الزواج الشرعي وتعدد الزوجات وتحريم الزنا، ويربى البربر لحاهم كالعرب (اللحمي الملسنة) مما جعلوا منها رمزاً للرجولة؛ ويزاولون عادة الختان للذكور، مما حجب إليهم الإسلام لأنه التقى مع بعض شرائعهم ووافقها.

كذلك عرف البربر بإعزاز الجار وحماية النزيل والوفاء بالقول والعهد، والصبر على المكاره في الشدائد، حتى الموسيقى الشعبية البربرية في الشمال الأفريقي تتشابه مع اليمنية تشابهاً حقيقياً في كيفية الأداء والتغني وتركيب الألحان.

Brett and Fentress, the Berbers, p 30.

- حسن تاريخ الإسلام، ج 3، ص 184-191.
بوزورث - سلالات أسر وحكام
البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 114.
الذهبي - سير أعلام النبلاء، (ترجمة موسى بن نصير) ج 4، ص 499.
البرغوثي - المصدر نفسه ص 97.
ذكر ذلك ابن خلدون (العربي)، وأكد عليه ابن بطوط (البربري).
العرباوي - المصدر نفسه ص 257-261.

يعيش البدو منهم في طلب الكلاً وتربية المواشي والأغنام والخيول للركوب والتوالد. ولا يأكلون لحم الخنزير. بل أول من ادخله عليهم ومارس تربيته هم الرومان.

(9) التركيبة الاجتماعية للأسرة والقبيلة:

المجتمع البربري من خلال تاريخه كالمجتمع العربي قبلي، فيه الحضرة والبدو، والرعاة والمزارعون. وللقبيلة فيه مكانة خاصة باعتبارها وحدة اجتماعية متميزة ولا تلبث هذه القبيلة بحكم سنة التكاثر وتزايد الأفراد أن تنقسم إلى قبيلتين أو أكثر، وإلى مجموعة من الأفخاذ والبطون. وتفرض عليها الأحداث والأوضاع التي تعيشها - أن تدخل مع غيرها في الحوادث تحت قيادة زعيم أو شيخ واحد. البربر تتناسب كما تتناسب العرب وهذه طبيعة النظام الاجتماعي القائم على أسرة الأب. فيقولون بنو فلان وبنو علان.

تتكون القبيلة من خلية أساسية هي الأسرة وعمادها الأب الذي له النفوذ والسلطة المطلقة بما تخوله العادات والتقاليد والأعراف التي هي بمثابة الدستور، تستند إليها في تنظيم

ذلك نتيجة دراسة أجراها د. روبرت لخممان Dr. R. Lachmann - .

راجع: العريايي - المصدر نفسه ص 264-266.

الدرابي - القبائل الأمازيغية ص 144-145.

الطاهر - المجتمع الليبي ص 106.

العريايي - المصدر نفسه ص 144-145.

قال اليعقوبي بأن هواراً تتناسب كما تتناسب العرب، فمنهم بني مزبان وورقلة ومسرارة، وقال مؤكداً نفس الشيء ابن خلدون بنو ماجر وبنو يقرن وبنو زمر وبنو باديس... الخ.

راجع: العريايي - المصدر نفسه ص 202.

المصدر نفسه ص 258.

علاقاتها وما للأفراد وما عليها من حقوق وواجبات وفي قبول العناصر الوافدة وانضمامها طبقاً لمواثيق العهود والولاء أو في خالفاتها أو انضمامها مع قبائل أخرى تحت قيادة موحدة.

أما التعريب بمقوماته وقرائنه على سبيل التهريب، فمنه :

(1) اللغة العربية وعنفوانها:

لقد نتج عن الاحتكاك بين البربر وضيوفهم العرب آلات أخرى للتعريب غلبت عليها سمة الضغوط والرهبة خدمة التعريب في نهاية المطاف، ومنها ذلك المفهوم الذي ساد بين المسلمين بأن من أراد الدنيا والآخرة عليه التحدث بالعربية ما أربب الكثير إليها وفيها من منطلق ديني وديني. ولكن كان انتشار الإسلام أسرع بكثير من انتشار اللغة العربية، وما أوشك القرن الثالث هجري حتى غدت ليبيا مستعربة، ولكن لم تطغ اللغة العربية كثقافة، وتجري في شرايين الحياة إلا بعد هجرة قبائل بني هلال وسليم، مع بقاء اللغة البربرية للمحادثة حتى يومنا هذا في جبل نفوسة وبعض الجيوب، فالتعريب وتعلم العربية، بالنسبة

مازال حتى يومنا هذا كثير من المسلمين في شبه القارة الهندية يرون أي شيء مكتوب بالعربية مقدس، وكل عربي هو مسلم ومن آل البيت أو أبناء الصحابة الكرام وعليه شيء من القداسة، بل بعضهم يرفض تصديق بأن هناك عرباً غير مسلمين.

راجع: الحصين - القومية العربية من منظور إسلامي ص 23.

البرغوثي - تاريخ ليبيا الإسلامي ص 101.

الزاوي - تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص 203-204.

سورة الزخرف، آية 3.

أثر صحيح، رواه الحافظ عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه، 7948/323/4. وروى ابن أبي شيبة في مصنفه 29926/117/6. أن عمر رضي الله عنه قال: تعلموا اللحن والفرائض فإنه من دينكم.
البرغوثي - المصدر نفسه ص 80.

للبربر، كان دينياً، انطلاقاً من قوله تعالى: إنا جعلناه قرءاناً عربياً لعلكم تعقلون، وذلك للتعبد، ودينياً للتعامل مع العرب والبربر أصحاب اللهجات المغايرة وغيرهم، وكتب الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى موسى الأشعري يأمره قائلاً: تفقهوا في العربية... تعلموا العربية فإنها دينكم، فمن أراد طلب العلم والتبحر في العلوم عليه أن يتقن العربية وإلا الإقصاء، فيحرم من الوظائف خصوصاً في أجهزة الدولة، وما فيها من ميزات وتشريفات وترقيات ومنافع كثيرة، بل يعتبر جاهلاً، أو غير مثقف على احسن الأحوال، لأنه لا يجيد العربية.

فجهود الخليفة عمر بن عبد العزيز وبعثة العشرة التي أرسلها بقيادة الوالي إسماعيل بن أبي مهاجر وتسعة من الفقهاء والتابعين ليقوموا في ربوع ليبيا ويعلموا الناس علوم الدين والعربية ويحثوا على الجهاد، أثر بالغ في صفوف الجند والبربر منهم خاصة، وكانوا للناس قدوة صالحة، وما مثلته العربية بمقتضياتها ومتطلباتها من عنفوان وفصاحة وسعة علم بالفقه والشعر والخطابة، وعجز اللغات الأخرى على مضاهاتها وتنافس العجم، وخاصة الفرس، على تعلمها وتعليمها والإبداع بها، ما جعل الإقبال عليها كبيراً جداً، وأصبحت العربية لغة الدين والدولة والعلم والثقافة حتى لغير المسلمين. كذلك ذكر

البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 99-101.

البرغوثي - المصدر نفسه ص 84.

كان بعض الأوربيين يأتون إلى المغرب لتعلم العلوم بالعربية، بل النصراني في المنطقة العربية خطوا كتبهم المقدسة وصلواتهم في دبرهم بالعربية، كحالنا في هذه الأيام الغابرة، وحاجتنا للغة الإنجليزية، للتعلم والتخاطب فيما بيننا كمسلمين.

أهل العلم أن هنالك سمات مشتركة بين العربية والبربرية، فيقول علماء اللغة: كل اللهجات البربرية باتت مطبوعة بطابع العربية .. و.. أن قواعد النحو البربري قريبة من القواعد العربية.

(2) معسكر العرب وشوكتهم:

بما فيها السلطة التنفيذية (السلطان بحاشيته وجيشه وشروطته)، والشريعة (العلماء)، القضائية (القضاة)، وتعزز التعريب بقوة إرادة العرب وعزمهم، وكذلك كثرة عددهم وشدة بأسهم وخمسهم لجعل هذه الديار إسلامية، وللعرب وجوداً فيها مهما كلفهم الثمن من تضحية وعناء وانهم قوم لا تلين قناتهم، ولا تثنى لهم عزائم كما فعلوا مع ابن باديس، الأمر الذي نتج عنه اضطهاد بعض العرب لبعض البربر في بعض الأحيان.

افتتح البربر بأن العرب أهل رسالة، وانهم باقون ولن يتزحزحوا، خصوصاً بعد طوفانهم غرب النيل في هجرتهم الشهيرة، وأنهم أصحاب دور في الكيان الجديد مع إخوانهم العرب على غرار حالهم تحت حكم الرومان، الذين كانوا يعاملونهم كالغرباء في المنطقة وليسوا من أهل البلد، وغالباً ما أمسوا مستبعبدين، ولهذا قالت العرب والبربر ستبقى اللغة العربية حتماً، ولو أن المؤرخين لا يؤمنون بالاحتمية في التاريخ، ولكن نحن المسلمين

شفيق - اللغة الأمازيغية ص 46.

كمالي - سكان طرابلس الغرب (هامش المغرب) ص 25.

الزاوي - مصدر سبق ذكره ص 122.

البرغوثي - المصدر نفسه ص 80.

الزاوي - معجم البلدان الليبية ص 172.

كمالي - المصدر نفسه ص 21-22.

نؤمن بأن هذه الديار ستبقى عربية ببقائها مسلمة، لأنه من عقائدنا أن الإسلام سيبقى والعربية بقائها مقروناً به.

ولعل ما قاله ابن خلدون في تأثر البربر - كونهم الطرف المغلوب والعرب الغالبين - تفسيراً لعملية التعريب في المنطقة مع حفظنا عليها لكون البربر لم يكونوا المغلوبين بما تعنيه الكلمة من خضوع وخنوع لأنهم أصبحوا حكماً لشمال أفريقيا، والعرب هم من الرعية الحكومة "المغلوبة" كسائر المسلمين في المنطقة، فيقول: المغلوب دائماً مولع بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه.

يتساءل العلامة بازامه أن كانت عائلة اللواتي في بيت إبراهيم في قبيلة العواقر أصلاً من قبيلة لواتة البربرية، وقال أيضاً غيره بأن بيت السلطنة - قبيلة العرفة - تنحدر من لواتة، هذا وفصل النسابة العربي البغدادي كثيراً حول فروع لواتة بالإضافة إلى أنه أشار إلى أصل انحدار كل من قبيلتي العبيدات وأولاد علي العربيتين باعتبارهما من السكان الأصليين، وإذا ما

بعض مؤرخي الغرب يقولون بأن سبتموس سفيرسوس كان من الليبيين الذين وصلوا إلى عرش روما، وأصبح أول إمبراطور أفريقي، ولكن لم يكن أصلاً ولا عرقاً من أبناء المنطقة، أي لم يكن بربرياً، ولكنه من أصول رومانية ولد وترعرع في ليدو - ليبيا، وقتل وهو يحارب الكولونيين في شمال بريطانيا ودفن بمدينة يورك الإنجليزية.

ابن خلدون - كتاب العبر (المعروف بتاريخ ابن خلدون)، الفصل الثالث والعشرون: ولع المغلوب بالافتداء بالغالب.
بازامه - سكان ليبيا في التاريخ ص 178، 241.
اغسطيني - سكان ليبيا: دراسة تاريخية واثنوغرافية [سكان برقة]، (تعريب د. إبراهيم أحمد المهدي)، ص 33.
المصدر نفسه.

صح ذلك فهذا سيلقي مزيد من الشكوك في رأي ابن خلدون، حيث أن اللواتي والسلطنة هما من عليّة العرب في برقة ومن فرسان قبائلهما المعدودين، بينما قبائل كل من العبيدات وأولاد علي تكونا أكثر من نصف سكان الصحراء الغربية وبرقة عدداً وسيادة ما يثير الشكوك في نسبهم البربري بقدر مقولة الغلبة والتغلب لابن خلدون.

(3) الهجرة والترحيل:

كان للهجرة طوعاً، بحثاً عن الكلاً والماء، أو الترحيل قسراً، لأسباب شتى الأثر الكبير في تعريب الكثير من بربر البلاد، فهجرة القبائل الهلالية والسلمية لعبت دوراً حاسماً في تعريب المنطقة حيث تمكنت من اختراق معظم - أن لم نقل كل - جمعات البربر وأماكن أقامتهم وعيشهم، فقد نجح هذا التدفق البشري الهائل من تمزيق كل الحواجز الأثنية والاجتماعية والنفسية التي حالت بين تواصل العرب بالبربر ما أدى إلى ارتباط العرقين في تزاوج غير قابل للبينونة، وأجب ليبيا التي نعرفها اليوم بتركيبتها القبلية الفسيفسائية.

هذه الحركة والتنقل البشري لم يقتصر على العرب فقط، وإنما شمل أيضاً البربر الذين هاجروا في جميع الاتجاهات بحثاً عن حياة أفضل في أرض الإسلام الواسعة، ومن مقتضيات تلك الهجرة كان تعريب الكثير منهم حتى يتمكنوا من العيش في الأراضي التي هاجروا إليها لسيادة اللغة والهوية العربية هناك.

الطاهر - مصدر سبق ذكره ص 47، 58، 69.
المصدر نفسه ص 69-75.

فكثير من البربر الذين دخلوا أسبانيا تعربوا، كذلك قبيلتا زويلة وهوارة التين استقر بهما المقام في مصر في القرن الثالث عشر ميلادي تعربا طوعاً واندمجاً بسلام في المجتمع المصري ولم يبق لهما أثر هناك سواء أسمائهم التي مازالت ليومنا هذا متداولة بين ذريتهم.

(4) العدو المشترك:

شعور البربر والعرب معاً بأنهم مستهدفون من قبل النصارى الأوربيين، ومحاولات النصارى لاسترجاع الشمال الأفريقي واستقلال شوكة الإسلام منه، ولكن بدون جدوى، مما استمطر سخط النصارى على العرب والبربر، وهذا دفع بالعرب والبربر إلى تضيق مساحة الخلاف والاختلاف وإيجاد أرضية مشتركة للتعايش وصد أي خطر يستهدفهم من الشمال، ولذلك الشعور بوحدة المصير كان سائداً في الأندلس وفي أطراف عديدة من الشمال الأفريقي لا سيما في الرباطات وما حولها أدى في آخر المطاف إلى تعريب البربر وتبني العرب الكثير من عادات البربر وتقاليدهم.

(5) إملءات المنافع والمصالح :

رضي البربر باللغة العربية، لغة للإسلام ونظام إدارة شؤون الدولة، وحلت محل اللغات القديمة بعد استكمال مرحلة المنتصر - تاريخ مصراتة منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العهد العثماني (مخطوط) ص 49،
تجد كثير من البيوتات المصرية حمل لقب الهواري والزويلي، لعل العالم المصري - أحمد زويل - الذي فاز بجائزة نوبل السلام عام 2001م من صلب تلك القبيلة الليبية العريقة.

تعريب أجهزة الدولة في العهد العباسي، وما فعله الولاة في هذا الصدد أسوة بالأوائل رغم المعاناة التي واجهها غير العرب في الدولة الأموية، ولكن لم يستغن العرب عن خدماتهم فتولت جماعة من غير العرب مناصب هامة وحساسة في الدولة ومنهم سرجون بن منصور كان مستشاراً لمعاوية بن أبي سفيان ورئيس ديوان الرسائل والخراج، وزادا نفروخ كان رئيس ديوان خراج العراق، ومحمد بن يزيد مولى الأنصار كان والياً على مصر من قبل عمر بن عبد العزيز، وكان منهم القضاة والولاة ورؤساء دواوين الخراج مما ساعد على انتشارهم في أرجاء الدولة بتشعب حتى أصبح من المستحيل حصرهم ناهيك عن محاولة استئصالهم.

وقد قطع حسان بن النعمان الغساني العلاقة ما بين الكنيسة القرطاجية والكاثوليكية في روما وبيزنطة، ووصلها بالكنيسة المرقسية الأرثوذكسية بمصر، مما ساعد على إسلام نصارى البربر وتعريبهم نظراً لصعوبة المواصلة والاتصال الروحي واللغوي بين الشمال الأفريقي ومصر الأرثوذكسية، وضرب موسى بن نصير عملة عربية أفريقية للتعامل بها في المنطقة بعد عبوره إلى الأندلس لتسهيل تبادل المنافع والمصالح المشتركة بين العرب والبربر وغيرهم من العجم، وإعطائهم نوعاً من الاستقلالية.

المزني - ليبيا منذ الفتح ص 64-66.
البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 82.
المصدر نفسه.
مطر - الذات الجريحة ص 316.
البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 88.

كذلك عملية التمدن والتحضر التي عاشتها المنطقة بعد مجيء الإسلام، وما ترتب عليها من الهجرة من الدواخل إلى المدن، ومن المدن إلى مناطق أخرى نتيجة الصراعات، والطرده والملاحقة من قبل السلطة أو قبائل أخرى، مما اضطرهم إلى التعرّب لتفاهم مع هذه الأجواء الجديدة.

وكانت القيروان بمثابة أول المراكز الإسلامية الكبرى التي تبنى في شمال أفريقيا وكان ذلك على يد عقبة بن نافع، الذي أمضى قرابة 28 سنة في ليبيا ومن جح جاحاً باهراً في أسلمة وتعريب ليس فقط ليبيا بل المنطقة الواقعة بين قناة السويس ومدينة القيروان التي غدت أولى كبريات مدن الإسلام في الشمال الإفريقي التي كثر فيها العمران بعد أن تم بناء مسجدها الجامع، فأصبحت مأوى للمسلمين من العرب والبربر على السواء، وكثير من بؤر الرباط مثل طرابلس ودرنة وجنزور وبنغازي وغيرها.

6) ضغط الحكام العرب على العجم وغير المسلمين:

كثير من حكام المسلمين من العرب قد تمادوا في التعدي على حقوق الرعايا العرب منهم والعجم المسلمين والغير مسلمين، وكتب التاريخ تزرخ بذلك، وما فعله يزيد بن عبد الملك 720-724م (101-105هـ) ثم أخوه هشام 724-743م (105-125هـ) في خلافتهما من التفريق بين العرب والبربر في الخراج وغير

البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 78.
أمين - ضحى الإسلام ص 24-26.
الزيني - مصدر سبق ذكره ص 65.

Bosworth, op. cit., p 5.

البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 84-86.

الخراج، وتوليته على البربر ولاة طاغين باغين إلا النزر اليسير من الأدلة، حتى قال قائلهم وهو يتبجح عناد وتعصب أعمى:... والله لأغضين لهم غصبة عربية ...

بنو أمية كانوا يفضلون العرب لعروبتهم وخاصة لمن يعطونه الولاية أو من يقوم بالإمامة في الصلاة أو القضاء وما شاكل ذلك من الأقوال والأفعال التي مضمونها الاحتقار والازدراء والاستبداد لغير الجنس العربي. وبعض العباسيين كانوا يعتبروا المماليك من الترك أولاد زنا، كذلك أنقال كاهل أهل الكتاب بدفع الجزية والضرائب، وكانوا يميزونهم باللبس الخاص ويعاملونهم معاملة لا يقرها الشرع مثل ما كان يفعله الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي قام بفرض لباس وزى خاص على أهل الذمة، إلا إن هذه الحوادث كانت استثنائية ولا تعكس التسامح الإسلامي الذي افتقر إليه الحاكم بالله حتى في التعامل مع المذاهب الإسلامية التي تختلف معه في مصر، وما اعترض عليه الفقهاء آنذاك.

وهؤلاء القساة من حكام العرب المسلمين لم يفعلوا ذلك مع البربر لكونهم بربراً، وإنما رأوا فيهم معارضة لبسط سلطانهم أو التصدي لهم، ووضع العرب لم يكن يستأثر باهتمام حكامهم إلا بمقدار مصالح هؤلاء الحكام أنفسهم فإذا اقتضت مصالحهم

البرغوثي - المصدر نفسه ص 87.

أمين - ضحى الإسلام ص 26.

شنقارو - فتنة السلطة ص 135، 159، 161-162.

أمين - مصدر سبق ذكره ص 18-35.

كمالي - مصدر سبق ذكره ص 21.

بازامه - أثر الدين والقومية ص 323.

أن يضربوا العرب بعضهم ببعض فعلوا. كما حدث ذلك أكثر من مرة في حكم الأمويين إذا ما اقتضى الأمر ذلك.

انظر ما نقله مفتي الديار الليبية العلامة الطاهر أحمد الزاوي، رحمة الله تعالى عليه في ترجمته لبسربن أبي أرطاة أحد القادة المسلمين الذين اشتركوا في فتح ودان، قال: كان بسربن المتحمسين لمعاوية، وحضر صفين ضد علي. وكان شجاعاً، وفيه قسوة البداوة. وأوقع بيت النبوة كثيراً من القتل والتشريد حتى خد لهم الأخاديد. وقتل ولدي عبيد الله ابن عباس وهما صغيران على يدي أمهما. ففقدت عقلها وهامت على وجهها. وقد دعا عليه علي بأن يطيل الله عمره ويذهب عقله. وكان كذلك.

ثم يعلق الشيخ الزاوي عليه قائلاً: ولا أظن إن هذا الرجل لمست بشاشة الإسلام قلبه. ناهيك عما فعل بالحسين ورهطه في كربلاء. فقد فعلت أمية الأفاعيل بأهل البيت، الذين لا يقاس بهم ولا يقاس عليهم، حتى قال الشاعر:

وعليك خزبي يا أمية دائم يبقى في النار مادام بقاءك

سادس الخلفاء الفاطميين 996-1021م (386-412هـ). قرب إليه علماء الشيعة الإسماعيلية والشعراء وأنشأ عددا من المساجد، عرف بتشده في معاملته غير المسلمين. ويقال إنه أجبر النصارى على أن يتقلدوا في أعناقهم صلباناً خشبية ثقيلة وأكره اليهود على وضع الأجراس في أعناقهم. يؤمن الدروز بإمامته. اختفى في ظروف غامضة (عام 1021م) فيما كان يتمشى على مقربة من القاهرة.

الشرقاوي - أئمة الفقه التسعة ص 47-48.

راجع: موسوعة المورد، المادة: (الحاكم بأمر الله).

راجع: أحمد أمين في "ضحى الإسلام" ج 1.

Yàuya, Mahayudin (the events of úiffin in early Arab tradition), Islamic quarterly, 2nd issue (1994-London), pp 91-112

ومن ثم جاء أبناء العمومة من بني عباس ليثأروا للعلويين ولكنهم سرعان ما اختلفوا معهم وقلوهم شرقتة. وتلك كانت أفاعيل أبناء العمومة من بني عبد المناف فما بالك بالبربر والفرس والكرد وغيرهم. والتقتيل والتنكيل كان من الطرفين وما فعلته قبيلة ورفجومة البربرية بعرب القيروان من الفظائع التي يندى لها الجبين، حتى انهم لم يميزوا بين النساء والأطفال والشيوخ - حتى مساجد الله لم تنج منهم - الأمر الذي دفع إباضي طرابلس من زناتة وهوارة لمحاربة بني جلدتهم من ورفجومة ووضع حد لتلك الفتنة المأساوية التي كان دافعها تعصب أحرق، حيث تقاتل فيها البربر والعرب، فعاجلت شريحة من البربر للنجدة تقاتل البربر دفاعاً عن العرب .. وهكذا دواليك.

لهذا استدرك البربر بأن الأمر لا يعني القضاء عليهم أو استقصائهم من المسرح السياسي لأنهم خلقوا بربراً، بل عليهم مواكبة هذا الزخم الإسلامي بتعربهم، حتى يكتب لهم التاريخ المجد كما كتبه لأبنائهم مثل طارق بن زياد ويوسف بن تاشفين وابن بطوطة والبوصيري ... الخ. وأن لا يفوتهم

الزاوي - ولاة طرابلس ص 12.

حتى أن أحد إخواننا من الأمازيغ أراد أن يشخصن القضية ويجعل من الإساءة التي قام بها من هم محسيوبون على العرب في حق أهلنا الأمازيغ إشكالية عرقية محض. فكتب بحثاً بعنوان (الفتح العربي لشمال أفريقيا بين نبالة النص ودناءة الممارسة) نال بموجبه إجازة من إحدى الجامعات المغربية، فاذكر هنا بأن أبو فرج الأصفهاني ألف كتاباً أكبر من تلك الإجازة كما ونوعاً بما لا يقل عن سبع مرات فيما حل فقط بالطالبيين من بني هاشم من قتل وتنكيل من حكام المسلمين وأسماءه (مقاتل الطالبيين).

البرغوثي - تاريخ ليبيا الإسلامي ص 124-127.

الصوفي المعروف في مصر صاحب قصيدة البردة الشهيرة من صنهاجة المغرب

ليبياء...

ركب التقدم كما حدث لهم أيام الرومان. وبالفعل دخلوا مع العرب فبنوا الكثير من الدويلات وشاركوا في الوزارات وأصبح من بينهم الكثير من العلماء المرموقين. فالعرب والبربر ذابوا في نسيج اجتماعي جديد، ومن شعاراته نعم للإسلام والعروبة، ولا للعنصرية والعصبية العرقية، مما عجل في تعريب البربر. ولذا أصبح وقع أضرار ومضاعفات الفساد السياسي الذي تفشى في الأنظمة أخف على من كان عربياً مسلماً أكثر من غيرهم: وبذلك جَنَّبوا “الغضبات العربية”.

وأمة مصرية.
راجع: الزركلي - الأعلام ج6، ص 139.
البرغوثي - مصدر سبق ذكره ص 25-26، 28.

الباب الثالث

1. وصول آل عثمان إلى كرسي السلطان
2. نزوح المسلمين الأندلسيين إلى ليبيا
3. النجدة العثمانية للشواطئ الليبية
4. الكتلة الانكشارية وسيطرتها على أجهزة الدولة العثمانية

القبيلة والإسلام والدولة

إلى فرنسيس ملك ولاية فرنسا:

وصل إلى أعتاب ملجأ السلاطين المكتوب الذي أرسلتموه مع تابعكم (فرانقيان) النشيط. مع بعض الأخبار التي أوصيتموه بها شفاهاً، وأعلمتنا أن عدوكم استولى على بلادكم، وأنكم الآن محبوسون. وتستدعون من هذا الجانب مدد العناية بخصوص خلاصكم، وكل ما قلتموه وعرض على أعتاب سرير سدتنا الملكية، وأحاط به علمي الشريف على وجه التفصيل فصار معلوماً. فلا عجب من حبس الملوك وضيقتهم. وكن منشرح الصدر ولا تكن مشغول الخاطر. فان آبائي الكرام وأجدادي العظام نور الله مراقدهم لم يكونوا خالين من الحرب لأجل فتح البلاد ورد العدو. ونحن أيضاً سالكون على طريقتهم وفي كل وقت نفتح البلاد الصعبة والقلاع الحصينة، وخیولنا ليلاً ونهاراً مسروجة وسيوفنا مسلولة، فالحق سبحانه وتعالى ييسر الخير بإرادته ومشيئته وأما باقي الأحوال والأخبار فستفهمونها من تابعكم المذكور فليكن معلومكم هذا.

خبراً في أوائل شهر آخر الربيعين. سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة

(1525م).

بمقام دار السلطنة العلية

القسطنطينية المحروسة الحمية

وصول آل عثمان إلى كرسي السلطان

تنامي نفوذ الترك في عهد الدولة العباسية إلى درجة

رسالة السلطان سليمان القانوني إلى فرنسوا الأول

ملك فرنسا

كتب ملك فرنسا (فرنسوا الأول) رسالة إلى السلطان سليمان القانوني، يطلب التحالف معه ضد إمبراطور أسبانيا والغرب (شارلكان) وأجاب السلطان سليمان بالرسالة التالية:

الله العلي المعطي المعين

بعناية حضرة عزة الله جلت قدرته، وعلت كلمته، وبمعجزات سيد زمرة الأنبياء، وقدوة فرقة الأصفياء، محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم الكثيرة البركات، وبمؤازرة قدس أرواح حماية الأربعة، أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وجميع أولياء الله.

أنا سلطان السلاطين، وبرهان الخواقين، متوج الملوك، ظل الله في الأرضين، سلطان البحر الأبيض والبحر الأسود والأناضول والروميلي وقرمان الروم وولاية ذمي القدرية وديار بكر وكردستان وأذربيجان والعجم والشام وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس وجميع ديار العرب واليمن ومالك كثيرة أيضاً التي فتحها آبائي الكرام وأجدادي العظام بقوتهم القاهرة أنار الله براهينهم، وبلاد أخرى كثيرة افتتحتها يد جلالتي بسيف الظفر، أنا السلطان سليمان ابن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان.

Hitti, History of the Arabs, 714

العسلي - خير الدين بربروس ص 197-198.

التحكم برقبة الخليفة، فينصبونه تارة، ويسملون عينيه ويقتلونه جوعاً تارةً أخرى. وأولهم الخليفة المتوكل على الله 847-861م (232-247هـ) الذي واصل سياسة الاعتماد على الجند الأتراك التي دشنها المعتصم فتأمروا عليه وقتلوه. كما فعلوا مع الخليفة المعتز 866-869م (252-255هـ). فيما بعد، الذي فضل المغاربة عليهم في المناصب العليا في الدولة، واستعملهم كأداة لمقاومة طغيان المماليك الترك بغية التخلص من سطوتهم، وهكذا دواليك..

معاوية بن أبي سفيان أول خلفاء بني أمية، وأول من اتخذ الحصان لخاص خدمته. وأول من استعمل جنود التركمان حكام بني أمية، إذ استقدم عبيد الله بن زياد سنة 673م (54هـ) عساكر من الترك وأسكنهم في البصرة. وشكل الحجاج بن يوسف الثقفي وحدة عسكرية منهم وأسكنهم في الواسط. ولكن لم يرتفع شأن الموالي إلا في صدر الدولة العباسية. وخاصة الفرس الذين كانوا من بين أوائل المناصرين للدعوة العباسية وعلى رأسهم البرامكة، التي انطلقت دعوتهم من القاهرة بالله بن المعتضد - الخليفة العباسي التاسع عشر 932 - 934م (320 - 322هـ) أساء السياسة معهم فخلعوه وسملوا عيناه. سجن 11 عاماً وعاش متسولاً.

Bosworth, the Islamic Dynasties, pp 7-10.

راجع: بازامه - أثر الدين والقومية في تاريخ الأمة الإسلامية ص 325، 327.

موسوعة المورد - مادة: (القاهر & المتقي & المعتز).

السيوطي - تاريخ الخلفاء ص 160.

الطبري - تاريخ الأمم والملوك (المعروف بتاريخ الطبري). (حقيق عبد مهنا). ج 4. ص 515.

أسرة فارسية من بلخ ازدهرت في بغداد 786-803م (170-188هـ) واشتهروا بالكرم فعظم شأنهم وقربوا الشعراء وتولى كثير من أفرادها منصب الوزارة

خراسان وقضت على الدولة الأموية في دمشق وبايعوا العباسيين على الخلافة في الأنبار وثم استقر أمرهم في بغداد. وبعد موت الخليفة هارون الرشيد 786-809م (170-193هـ) الذي خلف ثلاثة أولاد أصبحوا خلفاء من بعده، فتباين نفوذ الرعية. ففي خلافة الأمين 809-813م (193-198هـ) كان العرب أقوياء، ولكن بعد قتله تولى الخلافة أخوه المأمون 813-817م (198-201هـ). فاصبح وضع الفرس افضل. وقد اعتبر كثير من المؤرخين هذه الغلبة نصراً للفرس على العرب، على اعتبار أن أم المأمون كانت جارية فارسية تدعى مراحل. وأم الأمين كانت عربية، وهي زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسي. وأخيراً بيعة المعتصم 833-842م (218-227هـ) الذي كانت أمه جارية تركية اسمها ماردة.

في الدولة العباسية فتم لهم من السلطان قدر بضاهاى سلطان الخلفاء أنفسهم، حتى إذا ضاق بهم هارون الرشيد ذرعا نكبهم وصادر أموالهم عام 803م (188هـ) ابرزهم خالد بن برمك توفي عام 781م (165هـ) خدم السفاح، وإبنه يحيى توفي عام 805م (190هـ) مؤدب هارون الرشيد ووزيره، وحفيده الفضل بن يحيى توفي عام 808م (193هـ) أخو الرشيد بالرضاعة ومؤدب الأمين توفي سجيناً بالرقبة، وجعفر بن يحيى قتل عام 803م (188هـ) قره الرشيد ثم أنقلب عليه لأسباب غير واضحة وقتله في نكبة مشهورة تعرف بنكبة البرامكة.

حسن - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج 2، ص 164-168.

بازامه - أثر الدين والقومية ص 316.

حسن - مصدر سبق ذكره ص 179-192.

المعتصم ابن هارون الرشيد، ثامن خلفاء بني العباس 833-842م (218-228هـ)، قاتل البيزنطيين وفتح مدينة عمورية عام 838م (224هـ). بعدما استنجدت به امرأة هاشمية قائلة (وامعتصماه)، وقد خلد أبو تمام هذا النصر المؤزر بقصيدته التي مطلعها: السيف أصدق إنباء من الكتب، اشتهرت خلافته بفتنة خلق القرآن. عندما اعتنق مذهب المعتزلة، وأراد أن يحمل الناس على القول بأن القرآن مخلوق، وتصدى له الإمام أحمد بن حنبل الذي مرز المعتصم ظهره بالسياط.

آلت الأمور إلى أخواله الترك. وبهذا تسلسل العنصر التركي إلى الخلافة الإسلامية العباسية.

كان المعتصم أول خليفة عباسي اتخذ الترك حرساً خاصاً له وذلك لشجاعتهم وحسن استعمالهم للسلاح. وربما أوحى هذه الفكرة فيما بعد للعثمانيين بإنشاء ما يسمى بالانكشارية واستعمالهم في أجهزة الدولة. فاصطنع المعتصم الجند بشرائه الأتوف من المماليك الأتراك الذين سيطروا بعده على الخلافة العباسية. وكثر عددهم في المدينة ما أقلق السكان العرب. فبنى لهم مدينة سامراء وجعلها عاصمة الخلافة عام 836م (222هـ). وتكاثر عدد الأتراك وزادت قوتهم. ومن أبرزهم كانوا السلاجقة عام 1055م (447هـ) وآل زنكي 1127م (521هـ) الذين أثبتوا وجودهم بمواجهتهم وتصديهم للصليبيين مع إخوانهم الأكراد حينما تراجع المد العربي. وقام الأتراك فيما بعد بالفتوحات الإسلامية ونشروا الدين الإسلامي إلى أصقاع واسعة من العالم.

والترك في الأصل ليسوا جنساً واحداً متجانساً ولكنهم كإخوانهم العرب. أخلاط. يعودون إلى عصور ما قبل التاريخ إلى مناطق شمال شرق آسيا بين منشورية ومنغوليا شمال الصين.

حسن - المصدر نفسه ص 193.

بازامه - المصدر نفسه ص 315.

قبل في بعض الروايات (40 ألف).

المصدر نفسه ص 319.

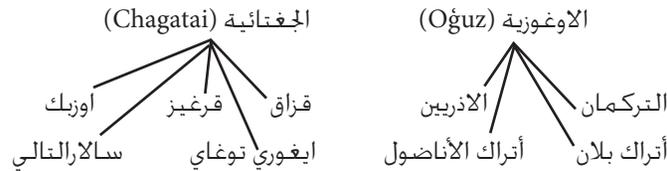
حسن - المصدر نفسه، ج 2، ص 196.

Bosworth, op. cit., p 9.

Op. cit., pp 121-122.

Garnett, the Turkish people, (introduction) pp xii-xiii.

وكانوا يعيشون في مجتمع منقسم إلى قبائل متناحرة في ما بينهم. ومن ثم سكنوا شمال بحر قزوين الذي كان يسمى بحر الخزر. واعتنقوا الإسلام عن طريق دراويش الصوفية الذين انتشروا بينهم بشكل كثيف. وتؤكد كل المصادر بأنهم دخلوا الإسلام عن قناعة وخدموه خدمة جليلة لا ينكرها إلا الجاحد. وبعدها استقر المقام بالقبائل التركية في الأناضول في آسيا الصغرى (تركيا الحالية) في ما بين القرن السادس والسابع ميلادي. واختلطوا بمن جئ من الانقراض من سكان الأناضول القدماء من الحيثيين (Hittites) والليديين (Lydians). ومن بعد بالإغريق والأرمن لاحقاً. وتبنى الجميع الهوية التركية في ظل الإسلام. ويصنف العلماء اللغة التركية عموماً إلى لهجتين أساسيتين هما:



والأتراك العثمانيون يرجع أصلهم إلى قبيلة قايي وهي إحدى قبائل الأتراك الغزية. وكان زعيمهم سليمان شاه الذي مات غرقاً في نهر قرب حلب ببلاد الشام. وخلفه ابنه أورخان. وأورخان هذه هو أبو الأتراك العثمانيين. وكما هو مزعوم في تراثهم.

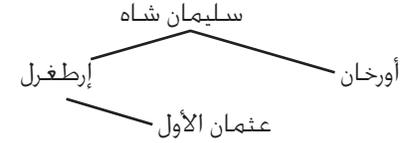
بازامه - أثر الدين والقومية ص 309.

مؤنس - أطلس تاريخ الإسلام ص 356-357.

الصلابي - تاريخ الدولة العثمانية ص 25-26.

راجع: موسوعة المورد - مادة: (الحيثيون & الليديون).

وهم ينسبون إلى عثمان ابن أخيه إرطغرل، ومن ثم دخلوا آسيا الصغرى إبان حكم السلاجقة في القرن الثالث عشر الميلادي.



وأقام عثمان الأول ابن إرطغرل 1281-1324م (680-734هـ) دولة بعد انتصاراته على الروم، ودخلت الغالبية العظمى من الروم البيزنطيين في دولته بعد ما أسلموا طوعاً ورضاً، وحسن إسلامهم، وبهم تغيرت الملامح التركية الآسيوية الصفراء ذات الشعر الأسود إلى الأوربية البيضاء ذات الشعر الأشقر والكستنائي.

تصدر الأتراك العالم الإسلامي عندما تحركوا للجهاد ضد الصليبيين، وأول من تحرك كان مودود اتابك الموصل، وهو تركي، وحركته كانت فاتحة لحركة النهضة الإسلامية العسكرية، والتجمع لحرب الفرجة (الصليبيين)، ومن بعده حمل راية الجهاد الأمير عماد الدين زنكي، أمير الموصل وهو تركي، فاستولى على حلب من الفرجة ووجد إمارتي الموصل وحلب وحرر الرها وهي إحدى الممالك الأربعة التي أسسها الصليبيون، ومن بعده تابع

Bosworth, op. cit., p 137
 بيلديكينو I Beldiceanu - تاريخ الدولة العثمانية (تحرير روبري مانتران Mantran). (ترجمة بشير السباعي)، ج 1، ص 17.
 أصاف - تاريخ سلاطين بني عثمان ص 29-32.

Bosworth, op. cit., p 136.
 Cahen, the formation of Turkey, ed. by P.M. Holt, p 3.
 Bosworth, op. cit., p 121.

الجهاد ابنه نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، ثم صعد نجم الترك أكثر عندما هزم صلاح الدين الأيوبي الكردي الفرجة بجنده الذين كان أغلبهم من الكرد والترك، ومن بعده توالى الأحداث والثورات والنكبات بدار الإسلام، مما استوجب على السلطان العثماني سليم خان الأول، المتنامي في القوة والنفوذ والسمعة، إلا أن يأخذ الخلافة الإسلامية من الخليفة العباسي المتوكل الثالث في القاهرة وشم زحفه على مصر 1517م (923هـ) وذلك بعد هزيمة المماليك في موقعة مرج دابق بسوريا، وبهذا استولى الأتراك على الخلافة من العرب، واعتبر هذا منعطفاً جديداً في تاريخ الأمة الإسلامية التي ظل العرب يحكمونها بما برر مقولة البقاء للأقوى وليس الأصلح، ولكن اجتمع للأتراك القوى والصلاح لقيادة الأمة ورضي بها عامتها وخاصتها.

Op. cit., pp 61-62

Op. cit., p 136

للمماليك الفضل في محاربة الصليبيين ببسالة ودرهم وطردهم نهائياً من دار الإسلام بعد هزيمتهم في معركة عكا سنة 1291م، وبرز منهم صناديد لازال يتغنى بهم الإسلام أمثال الظاهر بيبرس الذي أوقف الزحف المغولي في عين جالوت بفلسطين، وقطرز وابن طولون وغيرهم من الأشاوس، وحكم المماليك مصر والعراق وبلاد الشام قرابة 250 سنة.

المرجة - صحوة الرجل المريض ص 41.

ريوند Raymond, A - تاريخ الدولة العثمانية (تحرير روبري مانتران Mantran). (ترجمة بشير السباعي)، ج 1، ص 519.

القبيلة والإسلام والدولة

سنة 756م (139هـ). وفي عهدهم بلغت الأندلس أوج ازدهارها ومجدها. ولكن الانحلال ما لبث أن دب في جسم الدولة الأموية الأندلسية فتفرق أهلها إلى شيع. ففي كل ناحية أمير ودولة. وهكذا ظهر ملوك الطوائف ابتداء من القرن الحادي عشر للميلاد. وقد انشأ هؤلاء الملوك دويلات هزيلة متناحرة بلغ عددها على أقل التقديرات 23 دويلة في ما بين 1009-1091م (400-484هـ) عندما قضى عليها المرابطون. وبعد المرابطين سيطر الموحدون على أسبانيا الإسلامية. ويعتبر بنو الأحمر آخر أسرة إسلامية حكمت الأندلس.

كانت ليبيا كسائر حال العالم الإسلامي الذي كان يعاني من تخبط وفوضى وتمزق إلى دويلات هشة. وزحف صليبي شرس يريد استئصال شأفة الإسلام. وكان ذلك متمثلاً في أسبانيا التي استطاعت هدم آخر معقل إسلامي في غرناطة في شبه الجزيرة الإيبيرية سنة 1492م (898هـ). وتم ذلك بزواج ملك أرجون (أراقونا) فردناند من ملكة فشتالة (كاستيلا) إيزابيلا. وبتوحد الملكتين سنة 1469م (874هـ). وبعد احتراب وهزيمة المسلمين. وقع أبي عبد الله، محمد الحادي عشر. آخر ملوك غرناطة من بني نصر من العرب في أسر النصارى. وما ترتب عليه من طرد نهائي للمسلمين واليهود من الأندلس بالقرار الصادر 1503م (909هـ). ومن ثم نزوحهم إلى الشمال الأفريقي وبقية الشرق الإسلامي.

.Bosworth, op. cit., pp 14-15
.Op. cit., pp 12-18
.Bosworth, op. cit., p 19

نزوح المسلمين من الأندلس إلى ليبيا

فتح المسلمون المنطقة الجنوبية من أسبانيا، التي عرفت عند الأسبان باسم اندلوسيا، سنة 711م (92هـ) في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك 705-715م (86-96هـ). وانها حكم القوط (وهم عبارة عن طبقة عسكرية من الأرستقراطيين الجرمان الذين حكموا أسبانيا). وما هي إلا سنوات لا تزيد على سبع حتى سيطروا على أسبانيا كلها تقريباً وأطلقوا عليها اسم الأندلس. وهي تصحيف لكلمة اندلوسيا، وجعلوها ولاية أموية. وبعد ذلك اجتازوا سلسلة جبال البيرينيز وزحفوا إلى قلب فرنسا. ولكن موقعة بواتييه "Poitiers" عام 732م (114هـ). وتعرف عند المؤرخين العرب بـ (بلاط الشهداء). أوقفت المد الإسلامي في أوروبا.

أسس عبد الرحمن الداخل الدولة الأموية في الأندلس بمنأى عن الدولة العباسية، وجعل قرطبة عاصمته في الأندلس في

Watt - في تاريخ اسبانيا الإسلامية (ترجمة المصري)، ص 28-31.
Bosworth, op. cit., pp 12-13

معركة حاسمة دارت بين العرب والفرنكيين أو الفرجة (الفرنسيين) قرب مدينة بواتييه في الجزء الغربي من وسط فرنسا، في أكتوبر 732 للميلاد. هزم فيها شارل مارتل Charles Martel القوات العربية وعلى رأسها عبد الرحمن الغافقي موقفاً بذلك المد الإسلامي في أوروبا. دعاها العرب (بلاط الشهداء). وهي تعرف أيضاً بمعركة تور The Battle of Tours. وقد ذهب المؤرخ الإنكليزي أدورد غيبون Gibbon إلى القول إنه لو ربح العرب تلك المعركة، إذا كانت باريس ولندن اليوم موطنين تقام فيهما المساجد لا الكنائس. ويفسر في جامعاتها القرآن الكريم لا الكتاب المقدس.

راجع: موسوعة المورد - المادة: (Poitiers & الأندلس).

وبدأت هذه الظاهرة بعد سقوط قرطبة كأول معقل عربي إسلامي كبير في الأندلس سنة 1236م (634هـ) في أيادي الأسبان الكاثوليك، ونزوح أول دفعة للمسلمين إلى بقية الأندلس الإسلامية ومن ثم الشمال الأفريقي. وبذلك بدأ أفول النجم العربي الإسلامي من سماء شبه الجزيرة الإيبيرية، وبدأ العد التنازلي لأيام العرب فيها. فنزح عدد من مسلمي الأندلس إلى ليبيا أسوة بدول الشمال الأفريقي بعد المعاناة والإقصاء على يد محاكم التفتيش الجائرة لإنهاء الوجود الإسلامي وإفراغ الأندلس منهم، وذلك بالتنصير. وتغيير الأسماء وإجبارهم على ترك العبادات والعادات الإسلامية مثل الختان والاحتفالات بالمناسبات الإسلامية وما شاكل ذلك.

وبعدما عزم فيليب الثالث ملك أسبانيا على أن ينهي الوجود العربي في أسبانيا بصورة نهائية وقطعية سنة 1609م (1018هـ)، اصدر مرسوماً يقضي بطردهم جميعاً من دولته في خلال مدة لا تتجاوز ثلاثة أيام مع عدم السماح لهم باصطحاب أي شئ من ممتلكاتهم، إلا توافه الأشياء الخاصة بما يمكن حمله باليد.

الزاوي - تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص 360.
محاكم التفتيش لعبت دوراً كبيراً في القضاء على المسلمين بعد صدور القوانين بتنصيرهم أو ترحيلهم، وكان ذلك يتم بالتفتيش عن أسمائهم أو زبهم أو إذا كان النساء يخضن أيديهن، والكشف عن عورات الذكور للتعرف إذا ما كانوا مختونين أم لا.. الخ. ولم يتوقف ذلك إلا بعدما احتل نابليون أسبانيا بعد الثورة الفرنسية سنة 1818م.
الحمروني - الموريسكيون الأندلسيون في تونس ص 23-24.
رزوق - الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و 17 ص 45، 81-82.
الحجي - محاكم التفتيش العاشمة وأساليبها ص 33.

ووصلت آخر الموجات النهائية للوجود العربي الإسلامي إلى شواطئ المغرب سنة 1610 (1019هـ). ورسى مراكب المظلومين في شمال المغرب ثم انتشروا في مدنه مثل تطوان وطنجة وسلا وفاس والدار البيضاء. وبعد المتاعب والمشاق التي أرقتهم خلال رحلتهم إلى المهول نتيجة التعصب المسيحي لتصفيتهم الجماعية، انتقل قسم منهم إلى وهران وتلمسان والجزائر وبجاية وقسنطينة، وانتشر بعضهم في تونس، وانتهى بعضهم إلى ليبيا في طرابلس وبنغازي ودرنة كما ذكرنا سابقاً. وانتقلت البقية الباقية إلى المشرق الإسلامي، وكثير من اليهود إلى مدينة سالونيك العثمانية (في اليونان حالياً). بعض التقديرات تقول من عبر من الأندلس إلى الشمال الأفريقي قرابة الثلاثة ملايين، حيث استفادت منهم المنطقة أما استفادة تونس التي أنشأوا أربعاً وعشرين قرية فيها، فغدت بجدهم وكدهم مركزاً حضارياً يشع منه الفكر والفنون وخير من خرج من أصلاب أولئك المهاجرين الأندلسيين كان المفكر الاجتماعي العظيم العلامة ابن خلدون.

ومسلمو الأندلس عبارة عن أخلاط من العرب والبربر

برنيا - طرابلس (1510-1850م). (ترجمة خليفة التليسي). ص 90.
Brett and Fentress, the Berbers, pp 66, 97.
الحمروني - مصدر سبق ذكره ص 29-33.
بازامه - بنغازي عبر التاريخ ص 250-251.
بيلديكينو، I Beldiceanu - تاريخ الدولة العثمانية (خبر روبرمانتران Mantran). (ترجمة بشير السباعي). ج 1، ص 197.
بازامه - تاريخ برقة في العهد العثماني الأول ص 179.
برنيا - المصدر نفسه.

Bosworth, op. cit., p 37.

والمولدين الأوربيين والأفارقة السود، حيث تعربت هذه الأقوام في الإسلام على المذهب المالكي وعنقوان العروبة، وحت ضغط ورحف الكتلكة فاصبحوا كتلة واحدة، إسلامية الهوية وعربية اللسان. وعرفوا بين الأسيان بالمورو أو المورش.

وكان من الأندلسيين الذين نزحوا من أسبانيا قاسم باشا 1630-1632م (1040-1042هـ) الذي خلف مصطفى الشريف الادي في حكم طرابلس في العهد العثماني الأول. واستعان بكثير من الأندلسيين في دولته وكان لهم أثر واضح في توجيه سياستها تجاه الممالك المسيحية عامة وأسبانيا خاصة، ومن ذلك استئناف القرصنة في القرن السابع عشر ضد المسيحيين الذين كانوا يبغضونهم بغضاً جما واعتبروا ذلك جهاداً في سبيل الله ضد من اضطهدهم وطردهم من ديارهم. وعندما ترك الحكم في طرابلس زار برقة، فخطرت بباله فكرة العيش فيها. فذهب إلى الاستانة وحصل على فرمان من السلطان يسمح باستيطان بني قومه من الأندلسيين في برقة. فاستدعى كثيراً من العائلات الأندلسية من طرابلس وتونس لأجل الاستيطان في برقة. وربما تنسب إليهم تسمية تلك البلدة في روع الجبل

رزوق - مصدر سبق ذكره ص 24-25.

Bosworth, op. cit., p 12-13.

المولدون أغلبهم عبارة عن مسلمين أسبان. فرجة [فرنسيس]. صقالبة من البلقان.

رزوق - مصدر سبق ذكره ص 26-27.

بازامه - المصدر نفسه ص 198.

برنيا - مصدر سبق ذكره ص 91.

جحيدر - آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا ص 228.

الطرابلسي - درنة الزاهرة قديماً وحديثاً ص 46-47.

الأخضر ب "قرنادة" نسبةً إلى غرناطة الأندلسية التي اضطروا إلى هجرها.

استقر أغلب الأندلسيين في ليبيا في مدنها الرئيسية مثل طرابلس وبنغازي ودرنة، ولكن تأثيرهم في ليبيا كان محدوداً جداً مقارنة مع دول الجوار، فعددهم لم يتجاوز بضعة آلاف. وقد ذاب الأندلسيون في ليبيا كسائر الأقوام التي وفدت إليها. وإلى يومنا هذا لازلنا لا نعرف منهم وعنهم إلا القليل. على الرغم من أن هنالك ثمة روايات شعبية متواترة تقول بأنهم وافدون من الأندلس مثل أولاد حرب من سكان ورشفاة (و منهم الاصواب واللوافي والاذياب والاهواش). وبعض العائلات الطرابلسية مثل العسوس التي تعرف بآل النائب الأنصاري في طرابلس، وبن زكري والبهلول وبن قنونو والقرقني وأفطيس والطشاني، وعائلة عبد المالك المصراية، والدلنسي (الأندلسي)، وعائلة القاضي في بنغازي، وفي درنة (عبت أو عائلة) آل المؤدب والإمام

بازامه - تاريخ برقة في العهد العثماني الأول ص 198-209، 217.

البرغوثي - تاريخ ليبيا الإسلامي ص 420.

برنيا - مصدر سبق ذكره ص 90-91.

جحيدر - المصدر نفسه ص 246-247.

مناع - الأنساب العربية في ليبيا ص 465.

التليسي - معجم سكان ليبيا ص 227.

منهم المؤرخ الكبير صاحب "النهج العذب في تاريخ طرابلس الغرب".

الزاوي معجم البلدان الليبية ص 148.

الزاوي - أعلام ليبيا ص 369.

الزاوي - معجم البلدان الليبية (الهامش). ص 135.

الزاوي - معجم البلدان الليبية ص 48.

بازامه - تاريخ برقة في العهد العثماني الأول ص 223.

جبريل - جريدة حبيب ص 25-26.

المصدر نفسه ص 15.

الطرابلسي - مصدر سبق ذكره ص 48-50، 54.

وزيتون (وهم من الذين انقضوا لأسباب لا نعرفها) وابن فاضل وعزوز والبناني؛ وغيرهم كبيت زايد في قبيلة الشواعر.

هنالك بعض الشكوك حول بعض العائلات والبطون متوزعة في القبائل الليبية بأنهم أندلسيون. ولكن لا نستطيع أن نجازف بالتأكيد على أندلسيتهم لعدم تمكننا من الحصول على كفاية من اليقين لما تقتضيه الأمانة العلمية. فمثلاً هنالك بعض المؤشرات التي تخوم حول أصول الطواهر الذين نزلوا في كوية الملح (بنغازي) ومن بعدها انتقلوا إلى درنة. من حيث أصولهم التي يعتقد البعض بأنها أندلسية عبر مدينتي زليطن وطرابلس. وعندما حققت في أصولهم في زليطن بما توفر لدي من مراجع، وزليطن تُعرف بقبليتها الصارمة. حيث هنالك ثلاث قواعد قبلية قوية هم العمائم والفواتير، والبراهمة ومعهم أولاد غيث. فوجدت أن الطواهر ليس لهم أي أثر في زليطن من حيث الإرث أو أولاد عمومة مع القواعد القبلية الثلاثة السالفة الذكر. ولا حتى مع السوالم الذين يشكلون ثقل في قبائل الغرب، أو ما شاكل ذلك من العلاقات.

وهذا ما يوافق بعض الاستنتاجات التي تقول بأن أغلب

بازامه - المصدر نفسه ص 219-220.

اغسطيني - سكان ليبيا [برقة] (تعريب خليفة التليسي)، ص 321-322.

جبريل - المصدر نفسه ص 25.

بازامه - المصدر نفسه ص 220.

بازامه - المصدر نفسه ص 274.

اغسطيني - سكان ليبيا [طرابلس] (تعريب وتعليق خليفة التليسي)، ص 208-241.

السوالم - وأيضاً يعرفون بأولاد سالم من عرب بني سليم وديارهم من غرب سرت مروراً بمصراتة ومسلاثة وزليطن إلى الخمس.

الطواهر، باستثناء أقلية فيهم، وخاصة الاماجر (عائلة الماجري) التي يعتقد بأنهم من البربر المستعربة، أما بقية الطواهر فهم عبارة عن الأندلسيين الذين ساحوا في شمال أفريقيا فوصلوا إلى طرابلس ومن ثم زليطن واستقر ببعضهم المقام في درنة. فنمط حياتهم يختلف على البدو بصفة عامة من الحرابي، وكذلك سكان المغار الذين يعرفون بمصراتة، ويميلون إلى البداوة أكثر من الحضر. والاختلاف بين الطواهر (عرب البلاد) وسكان المغار (مصراتة وورقلة) كان متجذراً في جميع أنماط الحياة من مهن وسكن وطرب وطريقة الطهي واخشوشان في الطبع .. الخ؛ وتربط سكان المغار علاقات انسجام بالبادية، وخاصة الشواعر. أكثر من الطواهر. ويقال حتى أن لهجة عرب البلاد (الطواهر والتواجير) تختلف عن عرب المغار (مصراتة)، وتزواج

هؤلاء هم بعض الطواهر: 1. بن طاهر (ومنهم الدلال) 2. غراره 3. الجري 4. الدردي 5. شنيب 6. البكشيوشي 7. عبدالدايم 8. شاهين 9. شخير 10. سكتة 11. بن فاضل 12. البراهمة، وإذا ما أضيف إليهم التواجير يعرف جميعهم بـ الليخة.

ومنهم عائلة العكاري الطرابلسية على سبيل المثال. والجري الذين أتوا من جزيرة جربة التونسية عندما كانت جزء من ليبيا على فترات متباعدة. وأغلب سكان هذه الجزيرة هم من البربر الإباضيين. فالجربة الذين نقدهم هنا أتوا إلى درنة متأخرين ومنهم الأخوان البارزان علي وسليمان الجري إبان الفترة التي سبقت الاستقلال وخلال العهد الملكي. أما جربة المغار هم ليسوا ضمن حلف الطواهر لأنهم جاؤا إلى درنة مبكراً وسكنوا المغار مع المصراتية. ولهم مسجد يسمى بجامع الجربة، وكانوا في السابق يسمون بالحوامس (الخامسية) في درنة. أي أتباع المذهب الإباضي الذي يعتبر الخامس بعد المذاهب السنية الأربعة، ولكن هم الآن مالكية المذهب. ولكن هذا ليس دليلاً دامغاً على أن أصولهم من البربر أو أنهم إباضيون. وإنما للترجيح على أن هؤلاء جميعاً ليست لهم روابط دم مع الطواهر وإنما علاقة تأخ كما هي معروفة في المجتمعات الإسلامية. راجع: اغسطيني - سكان ليبيا [برقة] (تعريب خليفة التليسي)، ص 325. بازامه - تاريخ برقة في العهد العثماني الأول ص 285-372. المصراتي - التعابير الشعبية الليبية (دلالات نفسية واجتماعية) ص 293.

الطواهر لا يكون دائماً إلا بين ما يسمى باللبخة وهم عبارة عن عرب البلاد من الطواهر والتواجير. وهذا ما أكده الأستاذ الأديب علي مصطفى المصراطي في أهل درنة. ويقصد عرب البلاد. فقال: ... أهل درنة لديهم صناعات حضارية رقيقة فيها ذوق ودقة وجمال ... ومنها تقطير الزهور الذي هو عادة أندلسية ...

ويذهب الأستاذ المصراطي في وصف الأندلسيين في كتابه عن "جمال الدين الميلادي" فيقول: ظهر أثر التواشيح الأندلسية في فن الليبيين تعرف بين الليبيين بنوبة المألوف نغماً .. وإيقاعاً .. ومحاكاةً .. ونظماً .. في حفلات السهرات والأناشيد والطبوع الغنائية .. وقديماً .. كان واضحاً للدارسين أثر الأندلسيات في المجتمع الليبي .. سواء من ناحية فن الموشحات أو التعابير .. واللهجة .. والهندسة والمعمار .. وبعض المطاعم والزي .. وفن الزخرفة والأقواس والزليز.

هذا وذهب ثلثة من المؤرخين إلى القول إن إعادة أعمار مدينتي بنغازي ودرنة يرجع إلى النازحين من الأندلس بعد مدة من الهجر والنسيان. وأبرزهم الرحالة التونسي. أبو سالم العياشي. الذي زار درنة ثلاثة مرات في طريقه إلى مكة المكرمة. وأخرها كانت سنة 1661م (1072هـ). فقال العياشي في رحلته المدونة: أحدث نشأة. إذ لم يبدأ العمران بها إلا في حدود سنة 1040هـ (1631). ومن قبل بعض الأندلسيين الذين استقروا هناك. عند أنقاض مدينة

المصراطي - المصدر نفسه ص 293.

بازامه - تاريخ برقة في العهد العثماني الأول ص 124.

الطرابلسي - درنة الزاهرة ص 55-63.

الرغوثي - تاريخ ليبيا الاسلامي (ملحق) ص 538-556.

قديمة كانت في العهد الروماني تسمى دارنيس Darnis. ولم يكن بها أو حولها حين بدء استقرار الأندلسيين أحد.

حيث شقوا قناة "الساقية" في درنة وعرف بعضهم بحجاج الساقية. وكذلك بنوا البيوت وقدموا بعض المنسوجات والصناعات الحرفية وغيرها التي لم تكن مألوفة ومعروفة لغالبية الليبيين البدو.

والاستنتاج السالف الذكر في حق طواهر درنة لعله ينطبق على أقدم تكتل سكاني حضري في بنغازي متمثلاً في "قبيلة" الشويخات في بنغازي. علماً بأن الشويخات ليسوا قبيلة واحدة متجانسة من حيث النسب والعرق. فهي مزيجة الأصول من بربر مستعربة وعرب وغيرهم. وأصبحت تكتل لعائلات حضرية عاشت في مدينة بنغازي منذ زمن طويل. وحتت تأثير البيئة القبلية اجتمعت تحت مظلة واحدة. ينسبون أحياناً إلى ورفلة. وليس لديهم ما يدعم ذلك من أبناء العمومة أو الأملاك أو أي صلة أخرى. ولكن في السنوات الأخيرة انقسموا حيث فضل بعضهم تكتله القديم المتمثل في الشويخات حين رأى الفريق الآخر الأفضل لهم في الانتساب إلى قبيلة ورفلة. وهذا الفريق

سموا بحجاج الساقية كما تقول الروايات الشفوية لأنهم كانوا أو جاءوا من الحج في طريقهم إلى الأندلس. ولكن استعملت لفظة الحجاج لما لها من قداسة وهيبة دينية التي استطاعوا أن يأمنوا بها من شر قبائل العربان الخرابي لكي يتسنى لهم العيش في ربوعهم وبين عوارضهم في أمان. جبريل - جريدة حبيب ص 25.

ومن عوائل المشهورة في الشويخات كل من الوحيشي. زبو. لتقي. ادغيم. القرقروري. بلعم. الغناي. البعباع. قنح. بو قعيقص. الشين. اعبيدة. شرمود. الدرولي. مخلوف. زكة. الخباق. المهدي. الخ.

الأخير قاداته عائلة لنقي التي ترجع أصولها في بنغازي إلى أكثر من ثلاثة قرون ونصف. ويقول أهل ورفلة أن من لا يملك في سوفلجين أو جبد رابحة أو المردوم - وهي أراضي لقبيلة ورفلة - فهو ليس منا. وجل الشويخات ليس لهم ما يربطهم بتلك النواحي.

ويضيف الشيخ الطاهر الزاوي في معجم البلدان: جليانة (جوليانية) من ضواحي مدينة بنغازي. لعلها اكتسبت هذا الاسم بسبب هجرة إحدى أسر جوليانية الأندلس إليها في محنة الأندلس.

عموماً أهل الأندلس كان لهم أثر كبير في ليبيا، ولكن أثرهم الأكبر كان في عمران درنة وبنغازي. نظراً للحياة المدنية المتطورة التي عاشوها في "الأندلس"، حيث اشتغل أغلبهم بالصناعة والتجارة والزراعة، وطوروا نظام الري وبعض الطرق الزراعية مثل الجدولة وغيرها.

سوفلجين وادي تعيش على ضفافه 53 فرع من قبيلة ورفلة، وأسم سوفلجين بريري، ولكن يستبدل أحياناً بأسم وادي البطوم الأقل شيوعاً. أما المردوم هي نقطة التقاء الأودية الحادرة إلى هذه النقطة، ومن ثم ترتدم فيها المياه - أي تتجمع بها فسمية بالمردوم.
الزاوي - معجم البلدان الليبية ص 110.